خطبة واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ)

مقاربة حجاجية تداولية

إعداد

د. أحمد حلمي عبد الحليم

مدرس البلاغة والنقد الأدبي بقسم اللغة العربية

كلية الآداب، جامعة المنيا

خطبة واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ): مقاربة حجاجية تداولية.

أحمد حلمي عبد الحليم

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة المنيا، المنيا، مصر.

البريد الإليكتروني: ahmedhelmy537@gmail.com

ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن بلاغة الاتصال، وجوانب الحجاج في خطبة واصل بن عطاء التي تمثل نصا يتغيى استمالة المخاطب وإقناعه بسلامة المعتقد، والزهد في الدنيا، وذلك من خلال المقاربة الحجاجية التداولية، التي تكتسب أهميتها من وظيفتها الإمتاعية والإقناعية في بناء الخطاب، وقد آثرنا كشف تلك الأهمية من خلال تتبع الآليات اللغوية والبلاغية والمنطقية في هذه الخطبة، وانتهت الدراسة إلى جملة من النتائج كان من أهمها أن هذه الخطبة أظهرت دراية صاحبها بأصول الخطابة وسبل الإقناع، فركّز على الجانبين الإمتاعي والإقناعي؛ إذ بنى الأول على إجراءات أسلوبية، واستراتيجيات استهوائية خاطب بها مشاعر الجمهور، وحرّك عواطفه، من خلال الاستعانة بالآليات اللغوية، والاعتماد على الأساليب البلاغية التي استمال بها المتلقين، وأسّس الآخر على التدرج في استخدام الحجج، وترتيب الاستدلال، وربط المنقول بالمعقول من خلال السلم الحجاجي وسلطتي الشاهد والقيم بهدف التأثير في الجمهور وحثه على العمل بمحتواها، كما نجحت هذه الخطبة في أن تكون خطابا عاما يتسع للناس كافة، أجاد فيه واصل بن عطاء التواصل اللغوي الذي جرّده _بصنعة

عالية_ من لثغته في دعوته إلى الإقبال على الله تعالى، وكثّفه بحمولة حجاجية رسّخ بها مضمون الخطبة في عقول جمهوره.

الكلمات المفتاحية: واصل بن عطاء، آليات الحجاج اللغوية، آليات الحجاج البلاغية، آليات الحجاج المنطقية، التداولية.

Wasil bin Ataa Sermon (died in131 A.H.): An Argumentative Pragmatic Approach

Ahmed Helmy Abdel Halim

Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Minia University, Minia, Egypt

Email: ahmedhelmy537@gmail.com

Abstract:

The present study aims at revealing the eloquence of communication and the aspects of argumentation in the sermon of Wasil bin Ataa. The sermon is a text whose objective is to influence the addressees and persuade them to believe that his creed is valid and to lead an ascetic life via an argumentative pragmatic approach. This sermon gains its significance through its entertaining and persuasive functions which are reflected in its discourse. This functional significance of the sermon is revealed through tracing its linguistic, rhetorical, and logical mechanisms. Among the most important conclusions arrived at by the study is that the sermon shows the competence of Wasil bin Ataa and his deliberate knowledge of preaching and of the methods of persuasion. The study shows that he focuses on both the entertaining and the persuasive aspects of preaching where he builds up the first aspect on stylistic and strategic devices to move the emotions of the audience via relying on the use of linguistic and rhetorical devices to influence the audience. The second persuasive aspect is shown to be based on the gradual use of arguments, the arrangement of logical inferences, and relating text to rational evidence via the gradability of argumentation and the authority of being a preacher and observer to

influence and urge his audience to act according to its content. The sermon has proved successful as an effective public discourse without sloppiness in his call to turn to Almighty Allah; instead he concentrates on argumentative devices through which the content of the sermon is rooted in the minds of his audience.

Keywords: Wasel bin Ataa, linguistic mechanisms of argumentation, rhetorical mechanisms of argumentation, logical mechanisms of argumentation, pragmatics

مقدمة

تحاول هذه الدراسة رصد الآليات الحجاجية التداولية التي تزخر بها خطبة واصل بن عطاء التي جانب فيها حرف الراء، وتسعى إلى بيان مدى قدرة الخطيب على التأثير في جمهوره بقدر ما يودع في خطبته من خصائص تأثيرية، ومزايا منطقية تعد ركيزة أساسية في إيصال الأفكار، وتحقيق الاتصال الذي ينبني على أساس لغوي ذي دلالات جمالية يستميل بها المستمع، وطاقات حجاجية يؤثر بها في إقناعه.

مشكلة الدراسة وأهميتها:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في أن نظرية الحجاج التداولي تعد من أهم المداخل التي يمكن التوسل بها في استنطاق النصوص الأدبية التي تتخذ من الإقناع غاية لها، ولما كانت هذه الخطبة _محل الدراسة_ قد بناها صاحبها على أسس حجاجية قصد من خلالها استمالة المتلقي والتأثير فيه، فقد آثرت دراستها من خلال هذه النظرية.

أسباب اختيار الموضوع:

١_ ارتباط الخطابة بالحجاج والإقناع أكثر من ارتباطها ببلاغة الصورة، فـ"التخييل هو قوام المعاني الشعرية والإقناع هو قوام المعاني الخطابية"[١].

٢_ دراسة الخطابة الوعظية من منظور حجاجي تداولي؛ للتأكيد على أن النصوص التراثية قادرة على استيعاب المناهج الحديثة.

---

[١] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق/ محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨، ص٣٢٥.

٣_ بيان قدرة واصل بن عطاء التواصلية، وتغلبه على لثغته أمام جمهوره.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن بلاغة الاتصال، وجوانب الحجاج في خطبة واصل بن عطاء التي تمثل نصا يتغيى استمالة المخاطب وإقناعه بسلامة المعتقد، والزهد في الدنيا، وترك الغفلة، والإقبال على الآخرة وتأدية حقوق المولى جل وعز، كما تحاول معرفة الجوانب الفنية والجمالية في الخطبة ومدى استعانة واصل بن عطاء بها في إقناع الجمهور.

أسئلة الدراسة:

١_ كيف استطاع واصل بن عطاء التواصل مع الجمهور وهو شديد اللثغة؟

٢_ ما آليات الحجاج التداولي في خطبة واصل بن عطاء؟ وكيف وظفها؟

٣_ ما الغرض من إلقاء هذه الخطبة؟ وما المقصد الذي يرمي إليه؟

٤_ هل استطاع واصل في خطبته أن يوظف الجوانب الجمالية في خدمة الجوانب الإقناعية؟

منهج الدراسة:

تتخذ الدراسة الحالية من المقاربة التداولية الحجاجية منهجا لها؛ فتدرس النص من خلال علاقته بالسياق التواصلي، وأفعال الكلام، وتستكشف الآليات الحجاجية التي تنبني على توظيف الحجج العقلية، والبراهين النقلية؛ بغية استمالة المتلقي، والتأثير فيه، وإقناعه بمضمون الخطاب.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات مثيلة تناولت الخطب من منظور حجاجي تداولي، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١_ (دراسة حجاجية تداولية في خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي في أهل الكوفة حين ولي العراق)[١]، واتخذت هذه الدراسة من خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي متنا لها من منظور حجاجي، وتختلف عن دراستنا الحالية التي تعنى بدراسة خطبة واصل بن عطاء التي جانب فيها حرف الراء، ولذا فمتن الدراسة مختلف، ومن ثم فسبل التحليل متباينة.

٢_ (الحجاج في خطبة ابن عاصم) [٢]، وعني الباحث فيها بإبراز الجوانب الحجاجية في خطبة ابن عاصم القيسي الغرناطي الأندلسي (ت ٨٥٧هـ)، الأمر الذي يختلف عن دراستنا الحالية في أنها تدرس الجوانب الحجاجية التداولية في خطبة واصل بن عطاء المعتزلي (ت ١٣١هـ).

٣_ (الحجاج في خطبة وفود العرب على كسرى: مقاربة تداولية) [٣]، ورصدت فيه الباحثتان مكامن الطاقات الحجاجية في خطبة وفود العرب

---

[١] رضا عامر، دراسة حجاجية تداولية في خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي في أهل الكوفة حين ولي العراق، بحث منشور بمجلة دراسات، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، ع ٧٣، ٢٠١٨م.

[٢] صلاح عبد الله حسن أبو يحيى، الحجاج في خطبة ابن عاصم، بحث منشور بمجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، مج ٤٥، ع ٢، ٢٠١٨م.

[٣] الضاوية لسود، وأحلام مامي، الحجاج في خطبة وفود العرب على كسرى: مقاربة تداولية، بحث منشور بمجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، الجزائر، ع ٥، أبريل ٢٠١٧م.

على كسرى، وتختلف عن دراستنا الحالية التي تعنى بالمقاربة الحجاجية التداولية لخطبة واصل بن عطاء الله.

وثمة دراسة شديدة الصلة بدراستنا الحالية وهي:

_ دسوقي عبد المعز محمد، ٢٠١٠م، خطبة واصل بن عطاء التي جانب فيها حرف الراء دراسة بلاغية، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، جامعة الأزهر، مج ١٤، ع ٢.

وتناول فيها الأساليب البلاغية في خطبة واصل بن عطاء من ناحية تراثية بحتة؛ حيث كشف عن الدلالات البلاغية للتراكيب في الخطبة من خلال مباحث المعاني والبيان والبديع، الأمر الذي يختلف عن دراستنا الحالية؛ لأنها معنية بالمقاربة الحجاجية التداولية للخطبة، وإبراز الجوانب الإقناعية فيها.

خطة الدراسة:

اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، ثم تأتي الخاتمة، يتبعها ثبت المصادر والمراجع، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على موضوع البحث، وأهميته، وأسباب اختياره، وأسئلته، ومنهجه، وخطته.

التمهيد: ويشتمل على ما يأتي:

أ_ واصل بن عطاء وخطبته التي جانب فيها الراء.

ب_الحجاج في الثقافتين الغربية والعربية.

المبحث الأول: آليات الحجاج اللغوية في خطبة واصل بن عطاء.

المبحث الثاني: آليات الحجاج البلاغية في الخطبة.

المبحث الثالث: آليات الحجاج المنطقية في الخطبة.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج التي توصل البحث إليها.

أ_ واصل بن عطاء وخطبته التي جانب فيها الراء

هو أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلي البصري المتكلّم البليغ المفوّه، ولد سنة ثَمَانِينَ بِالْمَدِينَةِ، وَتُوفِّي سنة إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِائَة، وعرف بالغزّال؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَدُور فِي سوق الغّزالين، ليعرف المتعففات الفقيرات اللواتي يبعن الْغَزل من النساء، فيجعل صدقته لهن[1]، وفي كرمه وتقواه يقول صفوان الأنصاري:

---

[1] ينظر في ترجمته: الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي (٣٥٥ – ٤٣٦ هـ)، أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ط١، ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٤ م، ص١٦٣. والحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م، ٦/ ٢٧٩٣، وابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ٦/ ٧. والذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ– ١٩٨٥ م، ٥/ ٤٦٤، وميزان الاعتدال في نقد الرجال، ==

تلقب بالغزال واحد عصره ** فمن لليتامى والقبيل المكائر[١]

ولكن اعوجاج رقبته وطولها كان مثار استهزاء المستهزئين من مناظريه وأعاديه، ومن ذلك _مثلا_ ما جرى من عمرو بن عبيد _وهو من أصحاب الحسن وتلاميذه_ حين جاء لمناظرة واصل فيما أظهر من القول بالمنزلة بين المنزلتين، فلما نظر إلى واصل، قال: أرى عنقا لا يفلح صاحبها! فسمع ذلك واصل فلما سلّم عليه قال له: يا بن أخي، إن من عاب الصنعة عاب الصانع، للتعلق الّذي بين الصانع والمصنوع؛ فقال له عمرو بن عبيد: يا أبا حذيفة، قد وعظت فأحسنت، ولن أعود إلى مثل الّذي كان منى، وكذا كان بشار بن برد بعد معاداته له يعيب عليه طول رقبته، فيقول:

مَاذَا بُلِيتُ بغزالِ لَهُ عُنُقٌ ** كنَقيِق الدوِّ إن وَلى وَإن مَثُلا

كما كان واصل قبيح اللثغة شنيعها، ينطق الراء غينا، وهو داعية ورئيس نحلة، فكان يخلص كلامه منها، ليقدر على مقارعة الأبطال

==

تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٦٣م، ٤/ ٣٢٩. والصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ٢٧/ ٢٤٥، وأعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: الدكتور علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٨م، ٤/ ٥٠٤.

[١] الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ، ١/٤٤.

بالمحاججة والخطب الطوال[١]، لا سيما "وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، وإلى ترتيب ورياضة، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق، وتكميل الحروف وإقامة الوزن، وأن حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة، كحاجته إلى الجزالة والفخامة، وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب، وتثنى به الأعناق، وتزين به المعاني"[٢] وكان السامع لا يفطن لهذا التخلص من الراء؛ لاقتداره على الكلام وامتلاكه ناصية البيان، وفي ذلك يمدحه أبو الطروق الضبي بإطالته الخطب واجتنابه الراء، على كثرة ترددها في الكلام، حتى كأنها ليست فيه:

عليم بإبدال الحروف وقامع ... لكلّ خطيب يغلب الحقّ باطله[٣]

وترك واصل للمكتبة العربية التصانيف الكثيرة، منها كتاب أصناف المرجئة، وكتاب التوبة، وكتاب المنزلة بين منزلتين، وكتاب خطبته التي أخرج منها الراء، وكتاب معاني القرآن، وكتاب الخطب في التوحيد والعدل،

---

[١] في الكلام عن طول عنقه ولثغته وحسن تخلصه منها يراجع: المبرد، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧ م، ٣/ ١٤٣، والشريف المرتضى، أمالي المرتضى، مرجع سابق، ص١٦٥، والحموي، معجم الأدباء، مرجع سابق، ٦/ ٢٧٩٤.

[٢] الجاحظ، البيان والتبيين، مرجع سابق، ١/ ٣٦.

[٣] المبرد، الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ٣/ ١٤٣، والحموي، معجم الأدباء، مرجع سابق، ٦/ ٢٧٩٤.

وكتاب ما جرى بينه وبين عمرو بن عبيد، وكتاب السبيل إلى معرفة الحق، وكتاب في الدعوة، وكتاب طبقات أهل العلم والجهل وغير ذلك[١].

وهكذا استطاع واصل بن عطاء أن يغطي عيب طول عنقه بسخاء يده، فكان كريما ورعا كثير الصدقة، كما استطاع أن يغطي عيب لثغته بإحكام صنعة الكلام، وإتمام آلة البيان، وقدرته على الجدل والإقناع، وإيراد الحجج، ودفع الشبه، وتقرير الأدلة، وإفحام الخصوم، وغزارة العلم، وكثرة الإنتاج.

وأما عن خطبته التي جانب فيها حرف الراء، فقد كانت بحضرة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز حين ولاه يزيد بن معاوية إمرة العراق، وحضر حينها معه كبار الخطباء أمثال خالد بن صفوان، وشبيب بن شيبة، والفضل بن عيسى الرقاشى، وتبارى الأربعة بين يديه في الخطابة، ففضلهم واصل بخطبته، "وَهِي خُطبة بليغة الْمعَانِي فصيحة الْأَلْفَاظ طَوِيلَة جدا لَيْسَ فِيهَا راء، أطول من خطبتي خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة"[٢]، واشتد إعجاب عبد الله بن عمر بها فضاعف الصلة لواصل، ووصف هذا المشهد وأرّخ له صفوان الأنصاري فقال:

أقــام شبيبا وابن صفــوان قبلــه ** بقول خطيب لا يجانبه القصد

---

[١] ابن خلكان، وفيات الأعيان، مرجع سابق، ١١/٦، والذهبي، ميزان الاعتدال، مرجع سابق، ٤/ ٣٢٩.

[٢] الصفدي، الوافي بالوفيات، مرجع سابق، ٢٧/ ٢٤٧، وأبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢، ٣/ ٢٢٢.

وقــام ابن عيسى ثم قفاه واصل ** فأبدع قولا ما له في الورى نـد

فما نقصته الراء إذ كان قــادرا ** على تركهــا واللفظ مطرد سـرد

ففضل عبد الله خطبة واصــل** وضوعف في قسم الصلات له الشكد[١].

وكان بشار بن برد صديقا لواصل حينها قبل أن يدين بالرجعة ويكفر الأمة، ومن جملة الشعراء المعجبين ببلاغة خطبته، وحسن اجتنابه للراء فقال:

تكلَّفُوا القولَ والأقوامُ قد حَفَلُوا ** وحَبَّرُوا خُطَباً ناهيكَ من خُطَبِ

فقــام مُرتِجِلاً تَغْلِي بَــداهَتُهُ ** كَمِرْجَلِ القَيْــنِ لمّا حُفَّ بِاللَّهَبِ

وجانَبَ الراءِ لم يَشْعُرْ به أحدٌ ** قبل التصَفُّح والإغراقِ في الطلبِ[٢].

ومما سلف فقد حققت خطبة واصل بن عطاء التي جانب فيها حرف الراء صدى واسعا في تراثنا العربي شعرا ونثرا، وأصبحت قطعة نثرية متفردة في الأدب العربي عامة، والنثر الأموي خاصة، لما تشتمل عليه من بنى لغوية، وسمات أسلوبية، وبلاغة تعبيرية، وطاقة حجاجية، وقدرة تواصلية أكسبتها قيمة فنية تستحق الدراسة.

---

[١] الجاحظ، البيان والتبيين، مرجع سابق، ١/ ٢٦.

[٢] بشار بن برد، أبو معاذ بشار بن برد بن يرجوخ العُقيلي (٩٦ هـ – ١٦٨ هـ) ديوانه، مراجعة محمد شوقي أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م، ٤/ ١٣. وينظر _أيضا_: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، مرجع سابق، ٣/ ٢٢٢، والشريف المرتضى، أمالي المرتضى، مرجع سابق، ١٣٩، والزمخشري، جار الله، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ٥/ ٢٥٥، وياقوت الحموي، معجم الأدباء، مرجع سابق، ٦/ ٢٧٩٣.

ب_ الحجاج في الثقافتين الغربية والعربية

تحيل البلاغة في تضاعيف المعجم العربي على الوصول والانتهاء، وسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيهمه، كما تدل في الاصطلاح _أيضا_ على إيصال معنى الخطاب كاملا إلى المتلقي، سواء أكان سامعًا أم قارئًا، بيد أن عنايتها قديما كانت منصبة على إبراز الطاقة الجمالية التي تحرك وجدان المتلقي وتوجهه إلى الفعل، وبهذا كانت مختزلة في أوجه الأسلوب ومحسّناته، ومعرفة طرائق اللغة الخاصة بالأدب وفنونه.

لقد كان هناك إدراك دقيق من المحدثين لما آلت إليه البلاغة القديمة لدى اليونان والرومان والعرب من بعدهم، إذ وقفت عند حد إبراز الطاقة الجمالية فكان لابد من إضافة الناحية الإقناعية من خلال ما يعرف بالبلاغة الجديدة أو نظرية الحجاج، "التي تهدف إلى دراسة التقنيّات الخطابيّة، وتسعى إلى إثارة النفوس، وكسب العقول عبر عرض الحجج، كما تهتمّ البلاغة الجديدة أيضًا بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب، ثمّ يتطوّر، كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطوّر"[١]، ومن ثم فالنص الحجاجي نص معنيّ بثنائية الحجة والأسلوب وعلاقتهما بالسياق التواصلي، فإذا ما صاحب الأسلوب الممتع حجج متنوعة، وبراهين مختلفة، وعلاقات تربط بين أجزاء الخطاب بدقة، كان ذلك أبلغ وأقنع، وأدعى للمتكلم أن يحقق غايته من الخطاب.

---

[١] صابر الحباشة، التداوليّة والحجاج: مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٨، ص١١. ص١٥.

وحينما يكون الحديث عن التواصل بعامّة والحجاج بخاصّة فلا بدّ للبلاغة من أن تتصدّر الكلام، أو بالأحرى لا بدّ للخطاب البلاغي من أن يكون حاضرًا بجلاء؛ إذ "يدخل الجانب البلاغي كآليّة رئيسة في تشكيل خطاب جمالي لتحقيق تواصل مميّز ومثمر بين الناس، واليوم نعيش عودة قويّة للبلاغة، التي تعرف حضورًا متميّزًا في مشهد علوم التواصل"(١).

إن الخطاب الحجاجي ضارب في القدم، إذ تعود جذوره إلى الحضارة اليونانية (السوفسطائيون وأفلاطون وأرسطو) واستطاع في هذا الوقت توظيف الجدل والبرهان بغية التأثير والإقناع، وقد انتقل إلى العرب هذا النمط الخطابي، واستطاعوا توظيفه في مصنفاتهم، ودراساتهم التطبيقية، كما في كتب العقائد والأصول والتفاسير والخطب وغيرها، ونحاول في هذه الصفحات التطواف حول المسار التاريخي للحجاج عند الغرب والعرب قديما وحديثا.

الحجاج في الثقافة الغربية:

كان لوجود السوفسطائيين _قديما_ دور بارز في تطوير البلاغة والحياة الفكرية في اليونان عامة، والسوفسطائيون حركة فلسفية "برزت في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد تميز روادها بالكفاءة اللغوية البلاغية وبالخبرة الجدلية"(٢)، فعنوا باللغة والخطابة والبلاغة عناية فائقة، فهم الذين

(١) عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر: مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليات التواصل والحجاج، ٢٠٠٦، ص١٧.

(٢) سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص٢٤٤.

أسسوا لعلم الخطابة، واعتبروها الأساس الصحيح في التفكير، وفي ذلك يقول جورجياس gorgias: "الخطابة هي الفن الحقيقي والأسلوب الصحيح في التفكير"[١]، ثم صار الكلام عندهم فتانا ومخادعا بعد أن كان موحدا للحقيقة، ومقدما للمعرفة، كما أصبح أداة إقناع ووسيلة اقتناع تحملك على الاعتقاد والظن بشتى الوسائل من دون أن تعير اهتماما للحق والباطل[٢] ، فالحجاج عند السوفسطائيين يكمن في التلاعب بالألفاظ، والهروب من الحقيقة باستعمال حجج واهية، يحاولون بها إقناع المتلقي والتأثير فيه، وكان قصدهم من وراء ذلك الحصول على مال أو سلطة في المجتمع.

ثم نشب صراع بين أفلاطون والسوفسطائيين بسبب ممارستهم للحجاج بالباطل، الأمر لذي يجعله يضع أصولا للحجاج، ويمكننا أن نستخلص فكر أفلاطون في العملية الحجاجية من خلال المحاورات التي أقامها مع بعض السوفسطائيين؛ حيث أفرد أفلاطون لمواجهة تلك الممارسة الحجاجية محاورتين اثنتين هما "قرجياس" و"فيدر" اعتمد فيهما على منهج يقوم على صلة القول بالقيم، فوزن القول الحجاجي بمعياري العلم والخير الذي يقصد به الحق[٣]، وبهذا فإن محاورة أفلاطون مع السوفسطائيين تظهر_ في رأيي_ مكانة الخطابة في المجتمع اليوناني التي انطلق منها

---

[١] الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، بيروت: دار الطليعة، ط١، ٢٠٠٥، ص١٢.

[٢] نفسه، ص١٣.

[٣] ينظر: فريق البحث في البلاغة والحجاج؛ أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، تونس، من ص ٦٢ إلى ٦٤.

أفلاطون ليؤسس الحجاج على دعامتين أساسيتين هما العلم والخير اللذين يفتقدهما الحجاج السوفسطائي المبني على الخداع، وعليه فإن فلسفة أفلاطون فلسفة مثالية مفارقة للمادة تعتبر عالم المثل هو الأصل وأما العالم الحسي المادي فهو زائف ومشوه.

وإذا ما انتقلنا إلى أرسطو فإنه عني بالحجاج حتى صار فيه عمدة ومرجعا لمن جاء بعده، وقد تناول الحجاج من زاويتين متقابلتين من زاوية بلاغية ومن زاوية جدلية، فمن الزاوية البلاغية يربط الحجاج بالجوانب المتعلقة بالإقناع، ومن الزاوية الجدلية يعتبر الحجاج عملية تفكير تتم في بنية حوارية وتنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج ترتبط بها بالضرورة "[١].

وقد ميز بين ثلاث مستويات من الحجج هي الايتوس، والباتوس، واللوغوس في علاقتها بالأفعال الثلاثة للفعل الخطابي: الخطيب، والمستمع، والخطاب، وذلك على النحو الآتي:

الايتوس: يصف الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب، والصورة التي يقدمها عن نفسه.

الباتوس: ويشكل مجموعة من الانفعالات يرغب الخطيب في إثارتها لدى المستمعين.

اللوغوس: ويمثل الحجاج المنطقي الذي يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي، فيرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي[٢].

---

[١] محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، المغرب، ط١، ٢٠٠٥، ص١٥.

[٢] نفسه، ص١٨.

وكذا فرق بين المناقشة الجدلية والخطبة؛ مبينا الاختلاف في خصوص إسهام المقول إليه في فعل بناء القول الحجاجي، فالمناقشة الجدلية هي "جنس حجاجي ينشئه طرفان اثنان فهذا هو الشرط الأساسي لتقديم مناقشة جديدة حسب أرسطو، وهذان الطرفان يتقاسمان في بناء المناقشة فعلين أساسين وهما السؤال والجواب، ويسمي أرسطو أحد الطرفين السائل، والطرف الآخر المجيب، فهما يكونان متلازمين في فعلي السؤال والجواب على أن السائل هو الطرف المهم في الجدل حسب أرسطو"[١].

وأما الخطبة فلا تقوم على السؤال والجواب؛ لأنها "قول ينشئه الخطيب وحده، والغرض المقصود منه في كل الحالات هو الإقناع بحكم، وإلى الحكم يستند الفعل، والحكم يمثل جوابا عن سؤال يكون استشارة الوضع الخلافي المنشئ للحجاج عموما"[٢]

ومما سلف فالبلاغة هي الخطابة، أو الخطابة هي البلاغة، وهما كذلك جزء من الحجاج، أو الحجاج جزء منهما. فكما يرى أرسطو وشرّاحه ومترجموه، وذلك من خلال العنوان؛ فإنّ (الخطابة هي الريطوريقا: Rhetoric، وهي البلاغة)، "إنّ الريطوريقا كما استقرّ مفهومها في الثقافة الإغريقيّة إنّما هي نظرية في القول الناجع، وهي كذلك ذات علاقة متوطّدة

---

[١] أرسطوطاليس، الخطابة؛ تلخيص وشرح أبي علي بن سينا، تحقيق: محمد سليم سالم، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٩م، ص١٧.

[٢] نفسه، ص١٩.

بالممارسة الشفويّة"[١]، ومن هنا تبدو علاقة الحجاج بالخطابة علاقة ظاهرة بيّنة لاشتراكهما في جانبيّ التأثير وقوّة العبارة ونجاعة الكلام[٢].

وهكذا تعد جهود اليونان القدامى الركيزة الأساسية التي انبنت عليها نظرية الحجاج المعاصرة"**argumentation**"؛ حيث أسهم كثير من الباحثين الغربيين بشكل كبير في إبراز رؤية جديدة للدرس الحجاجي متكئة على الحجاج قديما لا سيما عند أرسطو الذي يمثل الانطلاقة الرئيسة للدرس الحجاجي، وكان من أبرز هؤلاء الباحثين بيرلمان وزميله في حديثهما عن البلاغة الجديدة، وديكرو وأنسكومبر في التداوليات المدمجة، وميشال ماييرفي نظرية المساءلة.

فأما بيرلمان(perelman) فقد سعى في مؤلفاته إلى تطوير النظرية الحجاجية، وبالتحديد في مؤلفه المشترك مع تيتكا (tyteca) "مصنّف في الحجاج"، ويتمثل مفهوم الحجاج عندهما بأن "موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[٣] .

وتمثلت أهداف نظرية الحجاج عند بيرلمان وزميله في قولهما: "تهدف نظرية الحجاج إلى دراسة التقنيات الخطابية الهادفة إلى إثارة

---

[١] علي الشبعان: الحجاج بين المنوال والمثال. نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، ط١، تونس، مسكلياني للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، ص١٤.

[٢] نفسه، ص ١٤ – ١٥.

[٣] عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج– الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكان، ضمن فريق البحث في البلاغة والحجاج: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مرجع سابق، ص٢٩٩.

الأذهان وإدماجها في الأطروحة المقدمة وتفحص أيضا شروط انطلاق الحجاج أو نموه، وما ينتج عنها من آثار"[١]، ومن ثم فالغاية التي يسعى المؤلفان إلى تحقيقها هي الوصول إلى استمالة عقل المتلقي وإذعانه وبعثه على تحقيق العمل المطلوب، فجاء عملهما مركزا على الإقناع الناتج عن وعي ودراية بمعطيات الخطاب.

وأما ديكرو (Ducrot) اللغوي الفرنسي فقد وضع أسس النظرية الحجاجية التي تعنى بالوسائل اللغوية التي يستخدمها المتكلم بصدد توجيه خطابه وجهة معينة، فأكد في مؤلفه الذي شاركه فيه زميله أنسكومبر المعنون بـ"الحجاج في اللغة" أنّ الحجاج متجذر في اللغة؛ أي لا يمكن فصل اللغة عن الحجاج ولا فصل الحجاج عنها، فيقولان: "إن الحجاج يكون بتقديم المتكلم قولا ق١ (أو مجموعة من الأقوال) يفضي إلى التسليم بقول آخر ق٢ (أو مجموعة من الأقوال)" [٢] ؛ حيث إن ق١ يمثل الحجة التي ينبغي أن تؤدي إلى ق٢، ويكون ق٢ قولا صريحا أو ضمنيا، وكذلك وضح أن الظواهر الحجاجية اللغوية تدعو إلى دراسة الحجاج على مستويين:

- مستوى خارجي؛ حيث يشكل النص في كليته حجة.
- مستوى داخلي يمثل الحجاج في المعجم والروابط الحجاجية والأفعال اللغوية[٣].

---

[١] محمد طروس، النظرية الحجاجية، مرجع سابق، ص٤٤.

[٢] عبد الله صولة. الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص٣٣.

[٣] خلية البحث التربوي، الحجاج في درس الفلسفة، ط١، المغرب، إفريقيا الشرق، ٢٠٠٦م، ص٥٣.

ومما سلف نستنتج أن " ديكرو" لا يهدف إلى إخبار المتلقي، ولا يقصد تقديم المعلومات له، بل يسعى للتأثير فيه، ودفعه لاتخاذ موقف ما من القضية التي تشكل موضوع النص، فالتأثير والإقناع يجب أن يفهم من خلال المنظور الجديد التي تعتبر اللغة هي الأساس في بناء العملية الحجاجية، فالحجاج عندهما قائم في جوهر اللغة، كما ركز "ديكرو" و"أنسكومبر" في كتابهما على التداوليات المدمجة، التي كانت تقوم على تصور خطي لعلاقة التركيب والدلالة والتداول، هذا التصور الذي كان يعتمد في دراسة اللغة، ومن ثم فإن أعمال هذين الباحثين أعمال بنيوية تغلق النص أو الخطاب، ولا تتعامل مع خارجه، ولكنهما يحمد لهما أنهما أشارا إلى جانب مهم في العملية الحجاجية وهو السلم الحجاجي بعدما لاحظا أن الأقوال الحجاجية ليست على درجة واحدة من القوة، بل تتفاوت قوة وضعفا.

وعرّف ميشال ماييرMichelle Mayer“ الحجاج بقوله:" الحجاج هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه"[1]، ونستنتج من هذا التعريف أن الحجاج عنده يقوم على الصريح والضمني؛ وقيام الحجاج على هذين القسمين يجعله ذا صبغة حوارية؛ أي مسرحا تتحاور على ركحه الأطراف وتتفاوض، وآية ذلك أن الكلام بانقسامه عند التخاطب إلى صريح وضمني يكون نصفه للمتكلم، وهو النصف المصرح به، ونصفه للسامع، وهو النصف الضمني، والحجاج الضمني عند ماييرهو الذي يوجد في معنى الجملة الحرفي شارة حجاجية تؤدي إلى ظهوره وفق ما يمليه المقام وتلوح بنتيجة ما تكون مقنعة أو غير مقنعة.

---

[1]عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص٣٧.

وتجدر الإشارة إلى أن أهم ما رصده في العملية الحجاجية هو ربطه نظرية الحجاج بنظرية المساءلة، فالحجة عنده هي عبارة عن جواب أو وجهة نظر يجاب بها سؤال مقدر يستنتجه المتلقي ضمنياً من ذلك الجواب، أو يمكن أن نقول أن الحجة هي عبارة عن جواب ضمني لسؤال يستخرج من الجواب نفسه[١]، ومن ثم فالسؤال عنده هو عبارة عن مشكلة تتطلب إجابة، تكون هذه المشكلة موجودة فيها، فالمتلقي في هذه الحالة يعتبر هو الذي يطرح الأسئلة من خلال الجواب المصرح به وهو الحجة ولكن بمساعدة معطيات مقاميه[٢]، ويمكن أن نمثله بهذا الشكل:

حجاج صريح_____الحجة(وهو جواب مصرح به)

حجاج ضمني_____سؤال (يكتشفه المتلقي بمعطيات مقامية)

ومما سلف فالخطاب الحجاجي عند" ميشال ماييز" هو عبارة عن إثارة الأسئلة والتي تكون بموجبها هذه الثنائية (سؤال، جواب) يعملان الفكر، ويؤديان إلى الإقناع، كما ربطه كذلك باللغة أو الكلام، والكلام عنده إثارة للسؤال، ومن ثم يستدعي نقاشا ثم حجاجا، وعليه فالكلام والحجاج متصلان لا انفصام بينهما، ولا يوجد حجاج بمعزل عن الكلام؛ لأن المخاطب يتوسل بالكلام أداة لإذعان المتلقي، وكذا أسس ماييز تصورا للبلاغة والحجاج في ظل المعطيات الفلسفية اللغوية على غرار بيرلمان.

وهكذا تمسك الغربيون بالإرث الأرسطي تمسكا واضحا، وما فعلوه ما هو _في رأينا_ إلا إعادة إنتاج لما هو موجود، أو بالأحرى إحياء للقديم

---

[١] المرجع نفسه، ص٣٨.

[٢] المرجع نفسه، ص٣٩.

في ثوب جديد، ونظر إلى الماضي بعين الحاضر، فكان الحجاج عندهم _في ظل تطور الدراسات اللسانية_ نمطا للخطاب ونوعا خاصا من أنواعه قادرا على ابتلاع سائر الأجناس.

الحجاج في الثقافة العربية

شكّل الحجاج بنية أساسية في الثقافة العربية، وتجلى ذلك في مؤلفات كثير من البلاغيين العرب قديما، وكان الجاحظ على رأس هؤلاء البلاغيين الذين وظفوا الحجاج في إبداعاتهم، فنجده في كتابه "البيان والتبيين" يحاول إيضاح مفهوم الحجاج خلال استشهاده بصحيفة تنتمي إلى الثقافة الهندية فيقول: "أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة. وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة. ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة، ولا يدقق المعاني كلّ التدقيق، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح، ولا يصفيها كل التصفية، ولا يهذبها غاية التهذيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما، أو فيلسوفا عليما"[١] ويتجلى لنا في هذا النص أن غاية الجاحظ تتمثل في الخطاب الإقناعي الشفوي، وهو خطاب تقدم فيه الغاية (الإقناع) على الوسيلة (اللغة)، وتحدد فيه الغاية طبيعة الوسيلة وشكلها تبعا لمقتضى حال المخاطَب؛ فوسائل إقناع السيد تختلف عن وسائل إقناع العبد، والحديث إلى الأمير يختلف عن الحديث إلى الحقير، وخطاب العالم يفارق خطاب الجاهل....

---

[١] الجاحظ، البيان والتبيين، مرجع سابق، ١/ ٦٤.

وفي كتابه "الحيوان" نجده يرد في بعض مناظراته على من رفضوا البيان فيقول: "ولو كانت كتب الزنادقة كتب حكم وكتب فلسفة، وكتب مقاييس وسنن وتبيّن وتبيين، أو لو كانت كتبهم كتبا تعرّف الناس أبواب الصّناعات، أو سبل التكسّب والتجارات، أو كتب ارتفاقات ورياضات، أو بعض ما يتعاطاه الناس من الفطن والآداب– وإن كان ذلك لا يقرّب من غنى ولا يبعد من مأثم– لكانوا ممّن قد يجوز أن يظنّ بهم تعظيم البيان، والرغبة في التبيّن، ولكنّهم ذهبوا فيها مذهب الدّيانة، وعلى طريق تعظيم الملّة، فإنّما إنفاقهم في ذلك، كإنفاق المجوس على بيت النار، وكإنفاق النصارى على صلبان الذهب، أو كإنفاق الهند على سدنة البددة"[1]، فعلة مهاجمة الجاحظ لكتب الزنادقة تتمثل في قيامها على تعظيم الملة لا على البيان والتبيين.

وكذا عني أبو هلال العسكري بالحجاج في كتابه "الصناعتين" حينما ربط الحجاج بالشعر؛ بمعنى أن الشعر له وظيفة حجاجية، فالشاعر حينما يقول شعرا ينفرد به عن غيره فإنما يبتغي به الوصول إلى مقاصد حجاجية من خلال ذلك الشعر، وفي هذا الصدد يقول أبو هلال العسكري: "البلاغة قول مفقه في لطف؛ فالمفقه: المفهم، واللّطيف من الكلام: ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس القلوب المستوحشة، وتلين به العريكة الأبيّة

[1] الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر.الحيوان.– ط٢.– بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ، ١/ ٤١، ٤٢.

المستصعبة، ويبلغ به الحاجة، وتقام به الحجّة"[١]، فالشعر فن تقام به الحجج، وينهض بوظيفة الحجاج.

وأشار ابن الأثير في كتابه المثل السائر إلى قيمة الحجاج حينما جعل مدار البلاغة كلّها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، لأنّه لا انتفاع بإيراد الأفكار المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلَبة لبلوغ غرض المخاطب بها[٢]، فهو بذلك يجمع ضمنًا في كلامه بين الخطاب والبلاغة والحجاج.

أما أبو الوليد الباجي فقد أورد في كتابه " المنهاج في ترتيب الحجاج" أن الحجاج يعد علماً من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم[٣]"

من هذا الكلام نفهم أن الحجاج من العلوم التي تحتاج إلى استدلال وتمييز ونقد ، بل يمكننا القول بأن الحجاج عند " أبي الوليد الباجي" هو

---

(١) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري. كتاب الصناعتين؛ تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ، ص٥٠.

(٢) ينظر:ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ، ١٩٩٥، ٦٤/٢.

(٣) أبو الوليد الباجي (ت٤٧٤هـ). المنهاج في ترتيب الحجاج؛ تحقيق عبد المجيد تركي.-ط٣.- بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠١، ص٨.

مرادف للجدل لأن لولا الجدل لما قامت حجة... كما نطق الكتاب الكريم أيضاً بالمنع من الجدل لمن لا علم له والحظر على من لا تحقيق عنده، ويستشهد بقوله تعالى: " هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"[١] وكذا أورد الأمر للذين يعلمون ويتقنون فن الجدل فاستشهد كذلك بقوله تعالى: "وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"[٢]، كما أنه استشهد بقول الرسول _صلى الله عليه وسلم_، وأقوال الصحابة _رضوان الله عليهم_.

ونستخلص مما سلف أن أبا الوليد الباجي يرى أنه على المناظر أو المحاجج أن يتبع الطريق الصحيح للجدل، بمعنى آخر أن الجدل المحمود أو الذي أريد به خير أثناء المناظرة مثلا هو الذي يعرف ويعلم فن الجدل ويمنع أصحاب الجدل المذموم أي الذين يجادلون بدون علم.

---

[١] سورة آل عمران، الآية ٦٦.

[٢] سورة النحل، الآية ١٢٥.

وقد ربط " ابن وهب الكاتب" الحجاج بالجدل والمجادلة، وهذا ما نجده في كتابه الموسوم "البرهان في وجوه البيان" الذي قدّم فيه تعريفاً دقيقاً للجدل والمجادلة وعرفها بقوله: "وأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه المتجادلون، ويستعمل في المذاهب والديانات، وفي الحقوق والخصومات والتنصل في الاعتذارات"[١]

ونفهم من كلام " ابن وهب" أنه وضع الحجاج تحت اسم الجدل، وجعله مبنيا على حصول الإقناع بين الطرفين؛ المخاطِب والمخاطَب، وقد قسم الحجاج على أساس أخلاقي، فميز بين الجدل المحمود والجدل المذموم" فأما المحمود فهو الذي يقصد به الحق، ويستعمل فيه الصدق، وأما المذموم فما أريد به المماراة والغلبة، وطلب به الرياء والسمعة"[٢]، كما بين أيضاً أن العلماء وذوي العقول من القدماء قد اهتموا بقيمة الاحتجاج وإقامة الحجة، حيث قال:" وقد أجمعت العلماء وذوو العقول من القدماء على تعظيم من أفصح عن حجته، وبيّن عن حقه، وقصر عن القيام بحجته"[٣]، واشترط " ابن وهب" في أدب الجدل أن يحلم المجادل عما يسمع من الأذى والنبر، وألا يعجب برأيه وما تسوله له نفسه، وأن يكون منصفاً غير مكابر، وألا يستصغر خصمه ويستهين به.

وأما حازم القرطاجني فإن أهم ما جاء به في كتابه الموسوم" منهاج البلغاء وسراج الأدباء" أنه أورد الحجاج على أنه من أوجه الكلام، إذ يقول:"

---

[١] أبو الحسين اسحاق بن وهب. البرهان في وجوه البيان؛ تقديم وتحقيق حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، مصر (د،ت)، ص ١٧٦.

[٢] نفسه، ص ١٧٦.

[٣] المرجع نفسه، ص ١٧٧.

لما كان كل كلام يحتمل الصدق والكذب، إما أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال"[١]، ونفهم من كلامه أنه ميز بين نوعين للكلام بين الإخبار والاقتصاص وبين الاحتجاج والاستدلال.

وكذا ميز بين طريقتين لإقناع الخصم وهما التمويهات والاستدراجات، وهما من الاستراتيجيات المهمة في عملية الإقناع، يقول حازم في ربطه التمويهات بالاستدراجات:" التمويهات والاستدراجات قد توجد في كثير من الناس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات التي يحتاج فيها إلى تقوية الظنون في شيء ما أنه على غير ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتدرب في احتذائها"[٢]، وفي تمييزه بين هاتين الاستراتيجيتين يقول:" التمويهات تكون فيما يرجع إلى الأقوال، والاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله، أو باستمالته المخاطب واستطلافه له بتزكيته وتقريظه، وإحراجه على خصمه، حتى يصير بذلك كلامه مقبول عن الحكم وكلام خصمه غير مقبول"[٣] ، ومن طرق تحقيق التمويهات عند حازم القرطاجني "طي محل الكذب من القياس عن السامع, أو باغتراره إياه ببناء القياس على مقدمات توهم أنها صادقة لاشتباهها بما يكون صدقا, أو بترتيبه على وضع يوهم أنه صحيح لاشتباهه بالصحيح, أو بوجود الأمرين معا في القياس أعني أن يقع فيه الخلل من

---

[١] حازم القرطاجني(ت٦٨٤هـ). منهاج البلغاء وسراج الأدباء؛ تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨، ص٦٣.

[٢] المرجع نفسه، ص ٦٤.

[٣] نفسه، والصفحة نفسها.

جهتي المادة والترتيب معا, أو بإلهاء السامع عن تفقد موضع الكذب وإن كان إلى حيز الوضوح أقرب منه على حيز الخفاء بضروب من الإبداعات والتعجيبات تشغل النفس عن ملاحظة محل الكذب والخلل الواقع في القياس"[١].

ومن البلاغيين الذين انشغلوا بالحجاج كذلك " ابن حزم الأندلسي" في مؤلفه " الفصل في الملل والأهواء والنحل" إذ زخرت كتاباته الفلسفية بطابع حجاجي حتى" أصبح يلقب بالمفكر الحجاجي بدليل أنه كان لا يهدأ من السجال والحجاج والجدال بالمناظرات لدرجة أنه يناظر كل شخص يقابله، لأن المناظرة والحجاج هي الحد الفاصل بين الصدق والكذب، فقد اشتهر بالجدال العنيف، فلم يكن مناظراً من أجل المناظرة بل كان مساهماً في بناء الحقيقة، فقد تميز بنزعة نقدية عقلانية تتميز بالنص"[٢] ، ومما يدل على اهتمامه بالحجاج تصديه للخصوم في كثير من المسائل بكل ما يملكه من أدلة عقلية ووسائل منطقية وهي المعول عليها في الكلام والمعتمد عليها عند المتكلمين لأنها الراشدة إلى الحق " لا يهمه في بيان ما يصل رضا أحد أو غضب أحد، وكان عالي الهمة ، لا ينماع في غيره ، تزيد قوة خصمه علوا، ولا يضعف ، ولا يتبع إلا مصادر الشرع، يعلو على الشديد ولا يستسلم، ويعلو على المقاومة ولا يهين ولا يضعف، وكان مع كل ذلك فيه حدة شديدة، فكان إذا رد قولا رماه بالشناعة، ورمى صاحبه بالخروج عن الدين"[٣]

---

[١] نفسه، ص٦٥.

[٢] حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط١، ٢٠٠٦، ص١٢٧.

[٣] المرجع السابق نفسه، ص١٢٩.

ومن جملة أقواله عن الحجاج ما ذكره في صدد حديثه عن جدال اليهود والنصارى من قوله: "لا بد للنصارى ضرورة من أحد خمسة أوجه لا مخرج لهم عن أحدها؛ إما أن يصدقوا نقل اليهود للتوراة وأنها صحيحة عن موسى عن الله _عز وجل_ ولكتبهم، وهذه طريقتهم في الحجاج والمناظرة، فإن فعلوا فقد أقروا على أنفسهم وعلى أسلافهم الذين نقلوا عنهم دينهم بالكذب؛ إذ خالفوا قول الله _تعالى_ وقول موسى _عليه السلام_ أو يكذبوا موسى _عليه السلام_ فيما نقل عن الله _عز وجل_ وهم لا يفعلون هذا، أو يكذبوا نقل اليهود للتوراة ولكتبهم فيبطل تعلقهم بما في تلك الكتب مما يقولون إنه إنذار بالمسيح عليه السلام؛ إذ لا يجوز لأحد أن يحتج بما لا يصح نقله..." [١]، فالإمام يعتمد على الأدلة العقلية في مناظراته، ويستند إلى صحة الاستدلال، وفرض الفرضيات وإيجاد حلول لها، ليكون ذلك أدعى إلى الإقناع.

وهكذا أصّلنا بإيجاز نظرة بعض البلاغيين العرب إلى مفهوم الحجاج قديماً بتسميات مختلفة اختلاف توجهاتهم، فقد ورد بمعنى البيان ومعنى الجدل والبرهان، ويمكن القول: إن الحجاج في الفكر العربي القديم انحصر في لونين خطابيين هما" خطابة الجدل والمناظرة فيما بين زعماء الملل والنحل، وفيما بين النحاة والمناطقة، وفيما بين الفلاسفة والمتكلمين"[٢]، كما

---

[١] ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة،(د،ت) ، ٢/ ٨.

[٢] جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠، ص١٢٦.

ارتبط بالتفكير فيما هو كائن وما ينبغي بقاؤه، وما يجب حذفه فيما يخص كل طرف من الأطراف المتحاججة.

ثم عني كثير من الباحثين العرب حديثا بالحجاج في دراساتهم وأبحاثهم وكتبهم ومقالاتهم، ولم تضف كتاباتهم _في الغالب_ جديدا على ما ذكره غيرهم من الغرب، ومن أبرز الباحثين في هذا الصدد طه عبد الرحمن ومحمد العمري؛ فأما طه عبد الرحمن فقد تميزت نظرته للحجاج بطابع فلسفي؛ لأنه يستند إلى المنطق محاولا المزاوجة بين القديم العربي والحديث الغربي، فقد عقد في كتابه (اللسان والميزان أو التكوثر العقلي) بابا عنونه بـ(الخطاب والحجاج) رأى فيه أن الأصل في تكوثر الكلام هو صفته الخطابية، بناء على أنه لا كلام بغير خطاب، وأن الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية، بناء على أنه لا خطاب بغير حجاج[١]، كما عرف الحجاج من خلال مبدأين هما "قصد الادعاء" و "قصد الاعتراض"، فيقول: "حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[٢]، وقد استعرض _كذلك_ في كتابه هذا أنواع الحجج، وأصناف الحجاج، وعني بالسلم الحجاجي بوصفه عمدة في الحجاج، كما درس الاستعارة من وجهة نظر حجاجية مؤصلا لها عند الإمام عبد القاهر الجرجاني.

---

[١] طـه عبـد الـرحمن. اللسـان والميـزان أو التكـوثر العقلـي، المركـز الثقـافي العربـي، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ص٢١٣.

[٢] المرجع نفسه، ص٢٢٦.

فالحجاج _فيما يرى_ هو الآلية التي يستعمل المرسل فيها اللغة ويتجسد من خلالها الإقناع، ومن ثم يكون الفهم والإفهام، والحجاج بآلياته وطرائقه وأنواعه المتباينة طريق ناجعة في دراسة مختلف الخطابات.

وإذا ما نظرنا إلى كتابه (في أصول الحوار وتجديد علم الكلام) فإنه عني فيه بميزة أخرى للحجاج وهي الحوارية، وجعلها على مراتب ثلاث، هي (الحوار، والمحاورة، والتحاور)، كما عالج المنهج الكلامي في ممارسة المتكلمين للحوار[١].

ومن الأهداف التي يرمي المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه إقناع المرسل إليه بما يراه، وكذا تغيير الموقف الفكري والعقدي عنده، وهذا لا يتأتى بالإكراه وإنما يكون بالإقناع "وقد تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع فتكون أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب وتوجيه سلوكه، لما يهبه هذا الإمتاع من قوة استحضار الأشياء، ونفوذ في إشهادها للمخاطب كأنه يراها رأي العين"[٢]، ومن ثم فطه عبد الرحمن يركز على أهمية الإمتاع ودوره في عملية الإقناع.

وأما محمد العمري فقد نظر للحجاج بطابع إقناعي، متأثرا بفلاسفة اليونان، فنجد كتابه (في بلاغة الخطاب الإقناعي) مرتكزا على كلام أرسطو وأفلاطون وعنايته بالإقناع، يقول: "لقد حمل أفلاطون في محاوراته على

---

[١] ينظر: طه عبد الرحمن. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠، ص٣١ وما بعدها.

[٢] نفسه، ص٢٢٦.

الخطابة لاهتمامها بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة"[١]، كما اعتمد على الدعائم الأرسطية لبلاغة الخطاب التي يربطها بالإقناع فيقول: "وبدأ الحنين من جديد إلى ريطورية أرسطو التي تتوسل إلى الإقناع في كل حالة على حدة بوسائل متنوعة حسب الأحوال"[٢]، فقد أصبح لبلاغة الخطابة دور فعال في التأثير في أحوال الناس.

وكذا عني العمري بالمقام خصوصا في الخطابة السياسية وهي محاورة بين الأنداد يكثر فيها النصح والمشاورات، والخطابة الاجتماعية المعنية بالعلاقات بين الناس وتنظيم المجتمع، والخطابة الوجدانية التي تهدف إلى المشاركة في الأفراح والأتراح، وتعتمد على الحجج المقنعة والأسلوب المؤثر، ونراه في ذلك يستند إلى قول جيل دكلارك: "إن الحجاج وهو يتخذ من العلاقات الإنسانية والاجتماعية حقلا له، يبرز كأداة لغوية وفكرية تسمح باتخاذ قرار في ميدان يسوده النزاع وتطغى عليه المجادلة"[٣].

ومما سلف يمكننا أن نخلص إلى أن الحجاج جنس خطابي يعرض فيه المتكلم لدعواه مدعوما بتبريرات وتعليلات، بغرض إقناع السامع، وهذا يحتاج إلى امتلاك المرسل ثقافة لغوية وبيانية ومنطقية واسعة.

---

[١] محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الدار البيضاء: دار الثقافة، ط١، ١٩٨٦، ص٩.

[٢] المرجع نفسه، ص١٠.

[٣] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر القديم من الجاهلية إلى القرن الثالث الهجري، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠٠٧، ص٢٤.

آليات الحجاج التداولي في خطبة واصل بن عطاء

نص الخطبة:

"الحمد لله القديم بلا غاية، والباقي بلا نهاية، الذي علا في دنوه، ودنا في علوه، فلا يحويه زمان، ولا يحيط به مكان، ولا يؤوده حفظ ما خلق، ولم يخلقه على مثال سبق، بل أنشأه ابتداعا، وعدله اصطناعا، فأحسن كل شيء خلقه، وتمم مشيئته، وأوضح حكمته، فدل على ألوهيته، فسبحانه لا معقب لحكمه، ولا دافع لقضائه، تواضع كل شيء لعظمته، وذلَّ كل شيء لسلطانه، ووسع كل شيء فضله، لا يعزب عنه مثقال حبة، وهو السميع العليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا مثيل له، إلها تقدست أسماؤه، وعظمت آلاؤه، وعلا عن صفات كل مخلوق، وتنزه عن شبه كل مصنوع، فلا تبلغه الأوهام، ولا تحيط به العقول ولا الأفهام، يُعصَى فيحلم، ويدعى فيسمع، ويقبل التوبة من عباده، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما يفعلون، وأشهد شهادة حق، وقول صدق، بإخلاص نية، وصدق طوية، وأشهد أنَ محمد بن عبد الله عبده ونبيه، وخالصته وصفيه، ابتثعه إلى خلقه بالبينات والهدى ودين الحق، فبلغ مألكته، ونصح لأمته، وجاهد في سبيله، لا تأخذه في الحق لومة لائم، ولا يصده عنه زعم زاعم، ماضيا على سنته، موفيا على قصده، حتى أتاه اليقين، فصلى الله على محمد، وعلى آل محمد أفضل وأزكى، وأتم وأنمى، وأجل وأعلى صلاة صلاها على صفوة أنبيائه، وخالصة ملائكته، وأضعاف ذلك، إنه حميد مجيد.

أوصيكم عباد الله _مع نفسي_ بتقوى الله، والعمل بطاعته، والمجانبة لمعصيته، فأحضّكم على ما يدنيكم منه، ويزلفكم لديه، فإن تقوى الله أفضل زاد، وأحسن عاقبة في معاد، ولا تلهينّكم الحياة الدنيا بزينتها

وخدعها، وفواتن لذاتها، وشهوات آمالها، فإنها متاع قليل، ومدة إلى حين، وكل شيء منها يزول، فكم عاينتم من أعاجيبها، وكم نصبت لكم من حبائلها، وأهلكت ممن جنح إليها، واعتمد عليها! أذاقتهم حلوًا، ومزجت لهم سُمًّا، أين الملوك الذين بنوا المدائن، وشيدوا المصانع، وأوثقوا الأبواب، وكاثفوا الحجاب، وأعدوا الجياد، وملكوا البلاد، واستخدموا التلاد، قبضتهم بمخلبها، وطحنتهم بكلكلها، وعضتهم بأنيابها، وعاضتهم من السعة ضيقا، ومن العز ذلا، ومن الحياة فناء، فسكنوا اللحود، وأكلهم الدود، وأصبحوا لا تعاين إلا مساكنهم، ولا تجد إلا معالمهم، ولا تحس منهم من أحد، ولا تسمع لهم نبسا، فتزودوا عافاكم الله، فإن أفضل الزاد التقوى، واتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون، جعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بمواعظه، ويعمل لحظه وسعادته، وممن يستمع القول فيتبع أحسنه، " أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ"[١] إن أحسن قصص المؤمنين، وأبلغ مواعظ المتقين، كتاب الله، الزكية آياته، الواضحة بيناته، فإذا تلي عليكم فاستمعوا له وأنصتوا له، لعلكم تهتدون، أعوذ بالله القوي، من الشيطان الغوي، إن الله هو السميع العليم، بسم الله الفتاح المنان ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ(٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ(٤)" [٢]، نفعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم، والوحي المبين، وأعاذنا وإياكم من العذاب الأليم، وأدخلنا وإياكم جنات النعيم، أقول ما به أعظكم، وأستعتب الله لي ولكم"[٣].

---

[١] سورة الزمر، الآية رقم ١٨.

[٢] سورة الإخلاص، الآيات من ١: ٤.

[٣] عبد السلام هارون، نوادر المخطوطات، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط٢، ١٩٧٣م، ج١، ص ١٣٤ إلى ص ١٣٦.

المبحث الأول: الآليات اللغوية في الخطبة

لما كانت اللغة وسيلة تواصل، وأداة لنقل المعنى، فإنها تسهم بدور فعال في أي خطاب حجاجي، وتمثل القدر الأكبر من النسق التواصلي، فمن خلالها يستطيع المتكلم أن ينتقي من الألفاظ والتراكيب ما يناسب المقام، ويثير المشاعر، ويحرّك الانفعالات، وقد يتجاوز هذه الأمور _من خلال اللغة كذلك_ إلى تقديم حجج منطقية، وأدلة عقلية، تستميل المتلقي، وتؤثر فيه، وكل ذلك مبني على قوة المحاجِج وقدراته اللغوية، لاسيما وأن "المقدم في صنعة الكلام هو المستولي عليه من جميع جهاته، المتمكن من جميع أنواعه ... وأبلغ من هذه المنزلة أن يكون في قوة صائغ الكلام أن يأتي مرة بالجزل، وأخرى بالسهل؛ فيلين إذا شاء، ويشتد إذا أراد"[١]، ومن أجل ذلك عني واصل بن عطاء في خطبته بجزالة اللفظ ، وعذوبة المعنى، فاستأثر بذلك قلب السامع ببلاغته، وامتلك عقله بحسن استدلاله، مستعينا في ذلك بجملة من الآليات اللغوية، منها:

أ_ استراتيجية التكرار:

يعد التكرار وسيلة حجاجية يتوسل بها المحاجج إلى إثراء دلالاته التعبيرية، وتنمية علاقاته الكلامية، ويتأتى له ذلك من خلال إعادة اللفظ، أو تكرار الجملة، أو إيراد المعاني الواحدة بأساليب متباينة، فالمبدع يكرر لتأكيد الحجة، كما أنّ التكرار نوع من مد القول الذي به يبلغ غاية الشفاء والإقناع[٢]، ولا يقتصر الأمر على التوكيد فحسب، بل يتعداه إلى دلالات

---

[١] أبو هلال الحسن العسكري، كتاب الصناعتين، مرجع سابق، ص ٢٣، ٢٤.

[٢] المرجع نفسه، ص١٥٦، ١٥٧.

متعدة كالاهتمام بالمكرور، والعناية به، والمبالغة في مدحه، أو ذمه، يقول ابن الأثير: "واعلم أن المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيدا له، وتشييدا من أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك، إما مبالغة في مدحه أو في ذمه أو غير ذلك"[١] ويذهب الزركشي إلى أن فائدته العظمى هي التقرير، فيقول: " وفائدته العظمى التقرير، وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرر"[٢]، وتمثل استراتيجية التكرار رافدا للحجج التي يقدما المتكلم، وطاقة حجاجية تسهم في حمل المتلقي على التصديق والإذعان، وتساعد على التبليغ والإفهام.

والتكرار المفيد هو الذي يأتي لمعنى، ويسهم في عملية بناء النص، و"ليس ذلك التكرار المولد للرتابة والملل، أو التكرار المولد للخلل والهلهلة في البناء"[٣]، ومن ثم فالتكرار "شكل من أشكال الاتساق المعجمي، يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له، أو شبه مرادف، أو عنصرا مطلقا، أو اسما عاما"[٤]

---

[١] ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة،دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة، د.ت، ٣/٤.

[٢] بَدْر الدِّينِ مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللَّهِ بْن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٩٥٧، ٣/١٠.

[٣] أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط١، ٢٠١٠، ص٤٩.

[٤] محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص، دار المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١، ص ١٦،١٧.

ومن نماذج تكرار اللفظ في الخطبة قوله (كل شيء) في ثلاث جمل متوالية (تواضع كل شيء لعظمته، وذلّ كل شيء لسلطانه، ووسع كل شيء فضله) فهو تكرار جاء نتاج انفعال وتأثر وتدبر لصفات الجلال كالبقاء والعلو والاتساع والحكم والألوهية والعظمة والسلطان، وصفات الجمال كالخلق والإبداع والإحسان والحكمة والفضل، فحين تدبر جلال صفات الذات الإلهية وجمالها رأى أن كل الأشياء متواضعة أمام صفة العظمة، وذليلة أمام صفة السلطان، وقليلة أمام صفة الوسع والفضل، فلما تذوق هذه المعاني صار يكرر الكلام ليقرره في الأفهام.

وكذا تكرار المشتقات كاسم الفاعل، وصيغ المبالغة، واسم المفعول؛ فاسم الفاعل "وهو ما اشتق من فعل لمن قام به على معنى الحدوث كضارب ومكرم"[١] قد سعى واصل إلى استعمال اسم الفاعل في خطبته مثل (الباقي، معقّب، دافع، لائم، زاعم، ماضيا، موفيا، الواضحة، المبين) حجة قوية، وصفة يوظفها من خلال دلالتها على الثبوت والدوام، والتقرير والتأكيد ليصل بها إلى نتيجة يحاول ترسيخا في عقل سامعه، وإقناعه بالرجوع إلى الله الباقي، واتباع آياته الواضحة، وأما صيغ المبالغة فقد كرر واصل استعمال صيغة واحدة منها وهي (صيغة فعيل) نحو قوله:(السميع، العليم، حميد، مجيد، الحكيم، الأليم) وأكثرها يخص الذات الإلهية والمبالغة في وصف قدرتها وفاعليتها، وأما اسم المفعول فلم يستخدمه إلا قليلا، وذلك في

---

[١] ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع ، دمشق، ط١، ١٩٨٤، ص٤٩٦.

كلمتين اثنتين (مخلوق، مصنوع)، لأن تركيزه كان على الفاعل وتثبيته في الذهن، وعنايته بالخالق وعظمته وإثبات قدرته.

ومن وسائل التكرار _كذلك_ التي توسل بها واصل في خطابه الحجاجي لإقناع المتلقي تكرار الضمائر المتصلة؛ فاستعان بتكرار الضمير (الهاء) نحو قوله: (علوّه، دنوّه، يؤوده، يخلقه، أنشأه، عدّله، خلقه، مشيئته، حكمته، ألوهيته، عظمته، سلطانه، فضله، له، تبلغه، عبده، نبيه، خالصته، صفيّه...) ونلاحظ أن الضمير هنا في كل هذه الأمثلة يعود على الله _سبحانه وتعالى_ أكثر من استخدامه واصل ليلفت الخلق إلى الحق، ويدلهم على ذاته وصفاته، ويبيّن لهم قدرته وسلطانه، ويذكرهم بنعمه عليهم، وفضله إليهم، وبذلك يستميل قلوبهم، ويوجههم إلى طاعة ربهم.

كما استعان بتكرار الضمير المتصل (كم) في قوله: (أوصيكم، أحضّكم، يدنيكم، يزلفكم، تلهينّكم، عليكم، إياكم، لكم، عافاكم) وهذا الضمير يعود على العباد، وجهّه واصل إلى المستمعين؛ ليحثّهم على تقوى الله وطاعته، ويحذرهم من معصية الله وعقوبته، ويرشدهم إلى ما يدنيهم منه، ويقربهم إليه، من الأعمال الصالحة، والانتفاع بالموعظة الحسنة؛ لكي ينجوا من عذاب الله الأليم، ويدخلوا جنات النعيم.

ومن الضمائر المتصلة في الخطبة _أيضا_ الضمير (ها) الذي تكرر بكثافة في مثل قول واصل: (زينتها، خدعها، لذاتها، آمالها، أعاجيبها، منها، إنها، حبائلها، إليها، عليها، مخلبها، كلكلها، أنيابها...) وهذا الضمير يعود على الدنيا، وأسرف الخطيب في استعماله؛ لما رأى من إسراف الناس في الإقبال عليها، فاستعان به على تحذير الناس من خدعها وفتنها وغوايتها، وأخذ العبرة من الأمم السابقة التي لم تغن عنهم دنياهم شيئا،

وتوسّل بالضمير المتصل (هم) في قوله: (قبضتهم، طحنتهم، عضّتهم، عاضتهم، مساكنهم، معالمهم، منهم) ليستدل به على من غرتهم الدنيا، ويستشهد به على ما فعلته بهم، ويثبت به للمستمعين ما آل إليه حالهم، ومن خلال هذا الاحتجاج بتاريخ الأمم السابقة وماضيهم يأتي الإقناع بأن الدنيا متعتها قليلة، ومدتّها قصيرة، وعاقبتها إلى زوال.

ويلاحظ غياب بعض الضمائر المتصلة مثل ياء المؤنثة المخاطبة، ونون النسوة؛ لأن الخطبة كانت في اجتماع يخص احتفال الرجال بتولية الأمير من جهة، كما أن خطاب المذكر يشمل المذكر والمؤنث للتغليب من جهة أخرى، كما يلاحظ _كذلك_ غياب تاء الفاعل، وألف الاثنين؛ وكأن واصل يغيّب فعل العبد وينفيه، فلا فعل للإنسان، ولا حول له ولا قوة إلا بالله الواحد، وبهذا يوجه المتلقي تلميحا كما وجهه تصريحا إلى إخلاص عبوديته لله عز وجل.

ومن وسائل التكرار التي أكثر واصل من استعمالها في خطبته أسماء التفضيل، مثل قوله: (أفضل، أزكى، أتم، أنمى، وأجل وأعلى، أحسن، أبلغ)؛ لأنها تستعمل للإثبات، وتعين المتلقي على ترتيب العلاقات ترتيبا معينا؛ إذا يفاضل بين شيئين اشتركا في صفة معينة، وازاد أحدهما عن الآخر في هذه الصفة، وليس أحق بهذه الفضائل في البشر من سيدنا محمد _صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وفي الكتب من كتاب الله _عز وجل_.

فهذه التكرارات أسهمت في إنجاح التفاعل اللفظي الذي يعين على الإقناع في الخطاب الحجاجي، ومنحت الكلام كثافة منعت غفلة السامع، وشدت انتباهه، وأكدت له أن المتكلّم صاحب موقف، وذا قناعة ثابتة يشدّد

عليه ويلحّ، ومثلت آلة أساسية من آليات تقوية المعنى وتوكيده؛ ليترسخ في عقل المتلقي، ويقتنع به، ويذعن له.

ب_ آلية النفي:

يعد النفي آلية " تتدخل لكشف التوهم والمغالطة، ومنازعة الخصم أطروحته، أو فتح ثغرات في البناء الإقناعي الذي يستند إليه"[١]، وقد استخدمه واصل في خطبته ليحدث رفدا يدعم الطاقة الحجاجية وينميها، الأمر الذي يعمل على التأثير في المخاطب؛ فإذا نظرنا إلى حرف النفي (لا) في مقدمته للخطبة حين قال:" الحمد لله القديم بلا غاية، والباقي بلا نهاية ... فلا يحويه زمان، ولا يحيط به مكان، ولا يؤوده حفظ ما خلق ...لا معقب لحكمه، ولا دافع لقضائه.. لا يعزب عنه مثقال حبة.. فلا تبلغه الأفهام، ولا تحيط به العقول ولا الأفهام.. لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يصده عنه زعم زاعم " نجد أنه كرر حرف النفي (لا) ثلاث عشرة مرة؛ لأنّ "لا تستخدم لتوكيد النفي، والنفي بها آكد من النفي بلن"[٢] ولذا فقد أكد من خلالها على سلامة المعتقد، ونفى عن نفوس المستمعين عقيدة التشبيه

---

[١]عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣م، ص٢٢٧.

[٢] المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ) ، الجنى الداني في حروف المعاني المؤلف، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ص ٢٧٠، ٢٩٢.

والتجسيم التي طلت برأسها في هذه الآونة[١]، وقرر في قلوبهم أن الله _جل وعلا_ ليس بجسم يحويه زمان، ويحيط به مكان؛ لأنه خالق الزمان والمكان، ثم نفى عن الخلق طرا أن يدفع أحد منهم قضاء الله، أو يعقب على حكم الله، وهو بذلك النفي _نفي الفعل والتأثير عن الخلق_ يربط قلوب المتلقين بخالقهم، ويرسخ في نفوسهم أن ما يفعله الوالي أو الحاكم ما هو إلا تنفيذ لما كتبه الله عليه، وبهذا يؤصل في قلوبهم ويثبت طاعة ولي الأمر الذي يستمع إلى الخطبة مع المستمعين من جهة، وينصح _بطريق غير مباشر_ لولي الأمر بأن يراعي الله في أحكامه وقضائه؛ لأنه خليفته على الأرض، من جهة أخرى، ثم يعود إلى النفي تارة أخرى ليؤكد على ما قرره في نفوس الجمهور آنفا من نفي الصورة عن الإله فهو جل شأنه لا تبلغه الأوهام، ولا تحيط به العقول ولا الأفهام؛ لأن كل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك، فالعقول الحادثة لا يمكنها تصور الخالق القديم، وبهذا يؤكد رده على المشبهة والمجسمة الذين يشبهون الله بخلقه، وهو سبحانه " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ"[٢]، ويلاحظ أن النفي الذي استخدمه واصل يعد نفيا ذا طبيعة جدالية، وفعلا ارتجاعيا يراجع فيه عقائد المخالفين، ويصححها ويقوّمها، ويبني على أنقاضها حقائق ثابتة، فالنفي آلية للنقض تفتت أسس الرأي

---

[١] بدأت إرهاصات التجسيم والتشبيه في مطلع القرن الثاني الهجري على يد الشيعة وكان على رأسهم هشام بن الحكم الرافضي معاصر لواصل بن عطاء، يراجع: الإمام الأشعري؛ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٣٠هـ) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ١/ ١٠٦.

[٢] سورة الشورى، الآية رقم ١١.

المضاد وتنزع عنه مصداقيته لتؤسس الرأي السليم وتبنيه، كما أن تكرار النفي بهذه الكثرة لم يستهجنه المتلقي ، ولم يمله، بل أحدث لديه نوعا من زيادة الإصغاء بفعل الاستعراض اللغوي الذي تميز به واصل بن عطاء.

ج_ الأفعال الكلامية:

عنيت الدراسات اللسانية الحديثة بدراسة الأفعال الكلامية، وهي نظرية تنسب إلى أوستين يرى فيها أن " اللغة ليست وسيلة للتواصل فقط، وإنما هي وسيلة للتأثير في الواقع، وتغيير سلوكنا ومواقفنا"[١]، ولذا فهي تعنى بالأفعال الصادرة عن المرسل والمتلقي، وهدفها تفسير طبيعة العلاقة بينهما، من خلال الموجهات التعبيرية التي يقوم بها المرسل ليؤثر في المرسل إليه، مثل أفعال الأمر، والنهي، والاستفهام، وما ينتج عنها من نصح أو إرشاد أو تحذير أو إغراء أو اقتراح، ومن الأساليب اللغوية التوجيهية التي تجلت في خطبة واصل بن عطاء، واتسمت بقوى إنجازية مختلفة ما يأتي:

١_ أفعال الأمر والنهي:

لا غضاضة في أن المتكلم لا يصدر أمرا إلا إذا كان راغبا في إنفاذه، وقادرا على ممارسة سلطته على المأمور وتوجيهه، ولذا فإن واصل قد توسل في خطبته بفعل الأمر محاولة منه لدفع المستمع إلى القيام بفعل مستقبلي معين يكون في مقدوره تنفيذه، ولما كان واصل خطيبا بليغا، ومناظرا قوي الحجة، خبيرا بأحوال المخاطبين، فإنه يعلم أن النفوس البشرية

---

[١] على آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٠م، ص٦٣.

في الغالب تأبى أن يوجّه إليها الكلام على جهة الاستعلاء، وتملّ من كثرة النصائح والأوامر، من أجل ذلك نلاحظ أنه في استعماله لأفعال الأمر يخفف من وطأتها على المستمع، مع أنها أوامر شرعية، وأحكام لا تقبل المناقشة، ويكون هذا التخفيف بأن يدعو له تارة، ويمدحه تارة، ويرتجيه أخرى، فيقول: "فتزودوا _عافاكم الله_ فإن أفضل الزاد التقوى" فمع أنه يحثهم على أن يتخذوا في دنياهم من تقوى الله ومراقبته زادا لأخراهم، إلا أنه يأتي بالدعاء مباشرة عقب فعل الأمر (تزودوا) فيقول (عافاكم الله) ليستميل المخاطب بهذا الدعاء، ولا يشعر في أمره له بالاستعلاء، وكذا في قوله: (واتقوا الله _ يا أولي الألباب_ لعلكم تفلحون) وقوله: (فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تهتدون) نلاحظ أنه بعد فعل الأمر (اتقوا) يناديهم ويلفت انتباههم بمدحه لهم بتزكية عقولهم فيقول (يا أولي الألباب) ثم يبين لهم أن الغرض من الأمر أنه يرجو لهم الفلاح، ويطلب لهم الهداية والصلاح، فيستشعر المخاطَب _حينئذ_ أن المقام مقام ترج ومديح ودعاء، وليس مقام أمر على جهة الاستعلاء، ومن ثم يذعن للخطاب، ويقبله ويعمل بمقتضاه.

وأما النهي فإنه يُوظَّف في الخطاب لتوجيه المتلقي لترك سلوك معين "والنهي محذو به حذو الأمر في أن أصل استعمال لا تفعل أن يكون على سبيل الاستعلاء"[١] وقد استعمله واصل في خطبته بصورة مباشرة في التحذير من الدنيا فقال: "ولا تلهينكم الحياة الدنيا بزينتها وخدعها، وفواتن لذاتها، وشهوات آمالها، فإنها متاع قليل، ومدة إلى حين" فالمرسِل يحذر

[١] السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٧م، ص٣٢٠.

المخاطَبين وينهاهم عن اللهو ويحتج عليهم بما تمتلكه الدنيا من وسائل هذا اللهو كالزينة والخدع واللذات، ويردف الحجة بحجة أخرى يقنعهم بها، وهي أن متاع الدنيا الذي تلهيهم به قليل، وزمنها الذي تغريهم به قصير، وبهذا النهي يقود المستمع إلى ترك هذا المنهي عنه، ويؤثر في تغيير سلوكه.

٢_ الاستفهام:

يعد الاستفهام في خطبة واصل بن عطاء من الأساليب اللغوية ذات الطاقة الحجاجية العالية؛ لأنه استفهام حجاجي يحمل المخاطَب على الإجابة _في داخله_ بناء على مقتضيات السؤال، وأتى به واصل في خطبته ليثير ذهن المتلقي، ويحرك الراكد المعرفي في وعيه، من خلال الاستفهام الذي يتجلى في قوله: "أين الملوك الذين بنوا المدائن، وشيدوا المصانع، وأوثقوا الأبواب، وكاثفوا الحجاب، وأعدوا الجياد، وملكوا البلاد واستخدموا التلاد؟" فهو لا يطرح السؤال بغرض طلب الجواب من المستمع، بقدر ما يريد من إعمال فكره، وإثارة ذاكرته، فيقلب هذا المتلقي مواقف الدنيا في رأسه، ويتذكر أحوال السابقين من الملوك الذين ملكوا الأرض ثم صاروا في باطنها، فيتعجب _حينها_ من حاله وكيف يطمئن إلى هذه الدنيا، ويركن إليها، وهو الأمر الذي يريد واصل أن يصل إليه ويحذر منه، وجعل من استفهامه وسيلة لتحقيق هدفه، إنه سؤال مكثّف حوى في داخله استفهامات كثيرة؛ إذا كل جملة منفصلة _بعد الجملة الأول_ تصلح استفهاما منفردا، يستنتجه المتلقي من الجملة الأولى، فتثار في رأسه أسئلة كثيرة عن أفعال هؤلاء الملوك، مثل: أين الذين شيدوا المصانع؟ وأين الذين أوثقوا الأبواب؟ وأين الذين كاثفوا الحجاب؟ وأين الذين أعدوا الجياد؟ وأين الذين ملكوا البلاد؟... ولا يستخبر واصل بسؤاله المتلقي أو يطلب منه الجواب _كما أسلفنا_ بل يترك له مساحة من التفكير تحمله على الوعي

بالمرامي، وإثارة القلق المعرفي بداخله، فيقر بالجواب الذي يأتيه به واصل في النهاية حين يقول: "قبضتهم بمخلبها، وطحنتهم بكلكلها ... فسكنوا اللحود، وأكلهم الدود" ويقتنع بفناء الدنيا، ويذعن لتحذير واصل منها، وبهذا يكتسب الاستفهام قوة حجاجية، وطاقة تعبيرية تؤثر في الخطاب، وتقود المتلقي إلى الإقرار والتسليم.

المبحث الثاني: الآليات البلاغية في الخطبة

أ_ الموجهات التعبيرية:

اتخذ واصل من الموجهات التعبيرية سبيلا إلى لفت انتباه المتلقين وتوجيههم، وذلك في عنايته بالأساليب الإنشائية كالأمر والنهي والاستفهام والنداء؛ فالأمر نحو قوله: (فأنصتوا له واسمعوا لعلكم تفلحون) الذي يحثهم فيه على الإنصات لكتاب الله تعالى، والاستماع له؛ لأنه سبب فلاحهم في الدنيا والآخرة، والنهي مثل قوله: (لا تلهينكم الحياة الدنيا بزينتها وخدعها) الذي حذر من خلاله المستمعين من الالتفات إلى زينة الدنيا، والوقوع في خدعها، والاستفهام كما في قوله: (أين الملوك الذين بنوا المدائن) وفيه يذكرهم بحال الملوك الذين غرتهم دنياهم، فذهبوا وزال ملكهم، وانقضى أجلهم، فلا يغتروا بحال الدنيا وزخرفها، ويرجعوا إلى ربهم ويعملوا لآخرتهم، والنداء نحو قوله: (يا أولي الألباب) الذي أنزلهم فيه منزلة البعيد وهم أمامه؛ لكونهم بعيدين عن ربهم، غافلين طاعته.

ونلاحظ أن واصلا في استخدامه لهذه الأساليب الإنشائية يراعي حال المتلقين الذين أتوا ليشهدوا حفلا أقامه الأمير عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي يزيد بن عبد الملك على العراق، ومن ثم فقلوبهم منشغلة عن الآخرة ومآلها، متعلقة بالدنيا وزينتها، ولذا كان الحث _ من خلال هذه الأساليب_ على الطاعة والإقبال عليها، والتحذير من الدنيا والانشغال بها.

كما توسل بأسلوب القصر في مثل قوله: (لا إله إلا الله وحده) قصر بطريق النفي والاستثناء، وهو قصر حقيقي يدخل في قصر الصفة على الموصوف؛ إذ قصر الألوهية على الله وحده "ويسمى قصر إفراد؛ لقطعه الشركة بين الصفتين في الثبوت للموصوف، أو بين الموصوف وغيره في

الاتصاف بالصفة"[١] توسل به واصل ليؤكد على توحيد الله سبحانه وتعالى؛ لأنه سر نجاة العبد يوم القيامة، وكذا قوله: (لا تعاين إلا مساكنهم، ولا تجد إلا معالمهم) وفيه قصر صفتي المعاينة والوجود على المساكن والمعالم؛ لتقوية المعنى وتأكيده في عقل المتلقي.

ب_ الإقناع بالصورة:

توسل واصل بالصورة الفنية في خطبته من تشبيه، واستعارة، ومجاز، وكناية؛ لتقريب المعاني إلى ذهن المستمعين، وإقناعهم بمضمون خطبته، من تقوى الله تعالى، والعمل بطاعته، والمجانبة لمعصيته، والتحذير من الدنيا وفواتن لذاتها.

فمن التشبيه قوله: (فإن تقوى الله أفضل زاد) وهو تشبيه بليغ، شبه فيه التقوى التي هي شيء معنوي، بالزاد الذي هو شيء مادي؛ وتشبيه المعنوي بالمادي يقرب الصورة، ويوضح المعنى، فكما أن الزاد في الدنيا سبب في بقاء الإنسان وحياته، فإن تقوى الله سبب في مرضاة الله، والخلود في جنته.

ومن الاستعارة قوله: (قبضتهم بمخلبها، وطحنتهم بكلكلها، وعضتهم بأنيابها) فهذه استعارات مكنية شبه فيها الدنيا بإنسان يقبض، وبآلة تطحن، وبسبع يعض، استعان بها واصل في التحذير من الدنيا بفضل ما تحمله

---

[١] الخطيب القزويني(ت ٧٣٩)، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تحقيق: أحمد شتيوي، دار الغد الجديد، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م، ص١٤١..

هذه الاستعارات من دقة في التصوير، وشدة في المبالغة، وتعدد في المعاني.

ومن المجاز قوله: (أين الملوك الذين بنوا المدائن، وشيدوا المصانع، وأوثقوا الأبواب؟) وهذا مجاز عقلي علاقته السببية؛ لأنه أسند البناء والتشييد والإيثاق إلى الملوك، مع أنهم لا يفعلون هذه الأشياء بأنفسهم، بل بغيرهم، فهم سبب لها، ولكنه نسبها إليهم ليوضح للمسمعين مدى عناية هؤلاء الملوك بأمور الدنيا، فكان المجاز وسيلة تخويف وتحذير وإيضاح وبيان.

ومن الكناية قوله: (حتى أتاه اليقين) وهي كناية عن موصوف وهو الموت، وعبّر عنه بطريقة الكناية تأدّبا مع الجناب الأعظم سيدنا محمد _صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم_ من جهة، واقتداء ببلاغة التعبير القرآني في قول الله _تعالى_: "واعبد ربك حتى يأتيك اليقين"[١] من جهة ثانية، وليؤكد للمستمعين على أن الموت يقين آت لا محالة؛ فيعملوا له من جهة أخرى.

ج_ وبلاغة التزيين والتحسين:

جاءت خطبة واصل بن عطاء مزينة بالمحسنات المعنوية واللفظية، وكان الهدف من ثراء الخطبة بهذه المحسنات التركيز على الجانب الموسيقي الذي يطرب به أذن المستمع، فينصت لحديثه، ويقتنع بمضمونه، ويعمل بفحواه.

---

[١] سورة الحجر، الآية ٩٩.

ومن نماذج المحسنات المعنوية التي فاضت بها الخطبة المقابلة، وهي "أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب"[١] نحو قوله: (علا في دنوّه، ودنا في علوّه) فالله _سبحانه وتعالى_ قريب ومتعال في آن، وقد جمع واصل في هذه المقابلة بين صفات الجمال وصفات الجلال للذات العلية، فاختزل صفات الجمال في القرب، وصفات الجلال في العلو، كما عبر من خلال هذه المقابلة عن حركة نفسية متوهجة أكّد من خلالها فكرة كمال السلطان لله وحده، الذي يختلف عن سلطان البشر، فهي نسق مضمر، وإشارة بليغة وجهها واصل للأمير الذي يستمع إليه، يخبره بأن سلطانه زائل، وسلطان الله باق؛ ليتقي الله في رعيته.

وقوله: (والعمل بطاعته، والمجانبة لمعصيته) فقد قابل بين العمل والمجانبة، والطاعة والمعصية؛ ليجلي أهمية الطاعة، ويبرز شؤم المعصية

ومن المحسنات _كذلك_ الطباق وهو الجمع بين الضدين، كما في قوله: (عاضتهم من السعة ضيقا، ومن العزة ذلا، ومن الحياة فناء) طباق حقيقي بين اسمين، وهو من طباق الإيجاب التي حذر فيها واصل من الدنيا وتقلب حالها؛ حتى لا يطمئن إليها الخلق، ويعملوا للآخرة دار الحق.

فهذه المحسنات المعنوية التي استعان بها واصل ليست ترفا لفظيا، بقدر كونها حركة نفسية تحمل متناقضات تميز بين الأمر الذي يرغّب المستمع فيه، ويحثه عليه، والأمر الذي يزهّد المتلقي فيه، ويحذره منه.

وأما عن المحسنات اللفظية فكان من أبرزها السجع "وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهذا معنى قول السكاكي: الإسجاع

[١] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مصدر سابق، ص٣٧١.

في النثر كالقوافي في الشعر"[١]، وقد أكثر منه واصل في خطبته لما له من جرس موسيقي يستميل به المستمع ليؤثر فيه، نحو قوله: (القديم بلا غاية، والباقي بلا نهاية) و (تمم مشيئته، وأوضح حكمته، فدل على ألوهيته) وهو سجع مطرف اختلفت فيه الفاصلتان وزنا واتفقت قافية، وسمي مطرفا لأن التوافق بين الفاصلتين وقع في الطرف، وهو الحرف الأخير، فبلغ طرفه الحسن ونهايته.

وقوله: (علا في دنوّه، ودنا في علوّه) و (أنشأه ابتداعا، وعدّله اصطناعا) سجع مرصّع؛ اتفقت فيه ألفاظ الفقرتين وزنا وتقفية، وسمي مرصعا تشبيها له بعقد اللؤلؤ؛ حيث توضع اللؤلؤة في جانب، وتوضع مثلها في جانب آخر، فالفقرتان المتماثلتان وزنا وقافية مثلها كمثل الآليء المتماثلة في جانبي العقد.

وقوله: (فلا يحويه زمان، ولا يحيط به مكان) و(لا يؤوده حفظ ما خلق، ولم يخلقه على مثال سبق) من السجع المتوازي الذي تتفق فيه الفاصلتان وزنا وتقفية، من دون مراعاة التوافق في ألفاظ القرينتين، وسمي متوازيا لتوازي الفاصلتين؛ أي توافقهما وزنا وتقفية.

ويلاحظ أن السجع في خطبة واصل كان أداة للوصول إلى المعنى، وبريئا من التكلف، وخاليا من التعسف، كما جاء _في الغالب_ متساويا في القرائن، وذلك من أحسن السجع؛ لأن المستمع يألف سماعه سواء أكان متساويا في طوله أم قصره.

---

[١] نفسه، ص٤٢٥.

المبحث الثالث: الآليات المنطقية في الخطبة

أ_ السلم الحجاجي:

يقصد بالسلم الحجاجي "مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية"[١]؛ أي التدرج في استعمال الحجج، وتوجيه الأدلة للمخاطب، بهدف التأثير عليه، ودفعه لإنجاز فعل معين من خلال محتوى الخطاب، ويرتبط السلم الحجاجي بقوة الحجج وضعفها، ومدى خضوعها لمنطق الصدق والكذب، وحسن توظيفها للروابط الحجاجية، فينتقل المرسِل من حجة أقل قوة إلى حجة قوية إلى حجة أقوى للوصول _في النهاية إلى نتيجة مقنعة.

وقد استعان واصل في خطبته بالسلم الحجاجي ببناه المتنامية، فمن مقدمة خطبته نجده يتدرج في استخدام الحجج ليبطل عقيدة التجسيم الفاسدة القائمة على مماثلة الله _حاشاه_ للحوادث، ويبرهن على أن الله _سبحانه وتعالى_ مخالف لهذه لحوادث؛ لأنها تفتقر إلى الزمان والمكان، والله تعالى لا يحويه زمان ولا يحيط به مكان، وذلك من خلال هذا السلم التصاعدي:

نتيجة فلا يحويه زمان، ولا يحيط به مكان **نتيجة** الله مخالف للحوادث

حجة(٢) الذي علا في دنوه، ودنا في علوه **مقدمة كبرى** الله الظاهر الباطن.

حجة(١) الحمد لله القديم بلا غاية، والباقي بلا نهاية **مقدمة صغرى** الله الأول الآخر.

[١] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص٢٧٧

كما توسل به كذلك في إرشاد الخلق للحق، وبيان فضله عليهم، فيعملوا بطاعته، ويجتنبوا معصيته، وذلك من خلال التدليل على ألوهية الله _جل وعلا_ باستخدام مقدمات كثيرة يوضحها السلم الحجاجي الآتي:

(ن) فدل على ألوهيته _____ ألوهية الله تستوجب تنزيهه وطاعته.

ح (٣) فأحسن كل شيء خلقه، وأوضح حكمته _____ خلق الله محكم.

ح (٢) بل أنشأه ابتداعا وعدله اصطناعا _____ خلق الله بديع لا مثال له.

ح (١) لا يؤوده حفظ ما خلق، ولم يخلقه على مثال سبق ___ الله خالق كل شيء بلا تعب.

يلاحظ في هذا السلم الحجاجي أن واصلا بنى فيه حججه على قواعد النفي والإثبات والتأكيد؛ فالحجة الأولى قامت على النفي (لا يؤوده... ولم يخلقه...) وبه يهدم الفكرة السقيمة التي يتصور وجودها في بعض عقول المتلقين، ثم يأتي بالرابط الحجاجي (بل) وهو حرف إضراب يفيد إبطال المعنى الذي قبله والرد عليه بما بعده؛ أي ينفي ما قبله ويثبت ما بعده، ومن ثم فإن هذا الرابط ينشئ علاقة بين قولين متناقضين، وهو من الناحية الحجاجية يمثل ربطا تداوليا بين المعطى والنتيجة، ويستلزم أن "الحجة التي بعد بل أقوى من الحجة التي ترد قبلها"[١] ولذا جاء الإثبات في الحجة الثانية (بل أنشأه...) وبموجب هذا الإثبات فإنه يبني التصور السليم، والأفكار الصحيحة في عقل المتلقي، وبعد استخدامه لثنائية الهدم والبناء التي أقامها على النفي والإثبات نجده يسارع في تأكيد الإثبات بالحجة الثالثة (فأحسن كل شيء...) مستعينا بالرابط الحجاجي (الفاء) وهي أداة ربط استنتاجية تفيد السرعة في الخطاب الحجاجي، أعقبها بالفعل الماضي

[١] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦، ص٦٣.

(أحسن) لأنه يدل على الجزم في تحقق الوقوع، وبذلك استطاع واصل أن ينفي الأفكار الخاطئة ويهدمها، ويثبت الأفكار الصحيحة ويبنيها، ويسارع في تأكيدها فترسخ في ذهن السامع، فحين يأتيه بالنتيجة (فدل على ألوهيته) فإنه يقتنع بها قناعة تامة، ويعمل بمقتضاها.

ب_ حجة السلطة:

حجة السلطة هي حجة يبنيها المرسل على سلطة يعترف بها المرسل إليه، ويعلما سلفا، وتعد بابا مشتركا بينهما، مثل سلطة الشاهد أو اللغة أو البيان أو العلم، ولكي يمارس المخاطِب سلطته على المتلقي "ينبغي أن يستدعي سلطة يوافق عليها مخاطبه؛ لأنها تشكل جزءا من ثقافته"[١].

ومعرفة واصل بن عطاء بفنون الكلام وبلاغة الخطاب منحته سلطة الهيمنة على جمهوره، وتبدى ذلك في حسن اختياره للألفاظ التي تأسر القلوب؛ ليهيئ المتلقي ذهنيا لخطاب ذي طاقات حجاجية عالية، وقد أسعفته جمالية اللغة _رغم لثغته الشنيعة_ في نزع حق الاعتراف بحجيته، وسلامة ذوقه من خلال بسط سلطته المعرفية على المتلقي بتنميق العبارة، وتجويد المعاني، نحو قوله مثلا: " فأحضكم على ما يدنيكم منه، ويزلفكم إليه، فإن تقوى الله أفضل زاد، وأحسن عاقبة في معاد"، وتعضيد الخطبة بالتضمين والاقتباس؛ فالتضمين كما في قوله: "فإذا تلي عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تهتدون"، والاقتباس في قوله: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)" [٢] وتزيين الأسلوب

[١] محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، دار كنوز المعرفة، الأردن، ٢٠١٦م، ص ١٣٦.

[٢] سورة الإخلاص، الآيات من ١: ٤.

بالتسجيع، وإحداث التناغم، وتوفير الانسجام كما في قوله مثلا: "لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يصده عنه زعم زاعم".

وقد مثلت هذه الوحدات اللغوية والبلاغية والصوتية فعالية حجاجية خطابية، لاسيما وأن مخاطبة العقول والقلوب تحتاج إلى مثل هذه القوة الأسلوبية التي تنبني عليها حجة السلطة فيتخذها الخطيب وسيلة ناجعة يحرك بها وجدان المستمع، ويوجهه إلى الفعل، فإذا ما صاحب هذا الأسلوب حججا متنوعة تشتمل على العقل والنقل أمكن للخطيب حسن قيادة المستمع وسرعة توجيهه إلى ما يريد من رأي أو فكرة، ولا يملك المستمع بعد كل هذا السريان الفكري والثقافي والبلاغي إلا الإذعان والقبول.

ج_ حجة القيم:

تتمثل حجة القيم في مجموعة القيم المشتركة بين المبدع والمتلقي، يستخدمها الأول ويستثمرها لإقناع الثاني، فنجد واصلا يركن إلى هذا النوع من الحجج زيادة في ترسيخ القيمة المشتركة من ناحية، وحمل النفوس على العمل بها ومنحها مشروعية جديدة للبقاء من ناحية أخرى، وقد كثرت القيم التي اعتمد عليها واصل في خطبته مثل: الحذر من الدنيا، والعمل للآخرة، ومحاسبة النفس، وتقوى الله، فواصل بن عطاء وجمهوره من المستمعين لخطبته يشتركان في أطروحة (زوال الدنيا وكثرة خدعها) ويستغل واصل هذا المشترك المعرفي بأن يؤصل له من خلال مجموعة من المقدمات أو الحجج التصاعدية المعتدة على البنى المتنامية في السلم الحجاجي، ويمكن توضيح ذلك على النحو الآتي:

١_ كم عاينتم من أعاجيبها _____ استدلال بالرؤية/ النظر.

٢_ كم نصبت لكم من حبائلها _____ استدلال بالواقع/ الحال.

٣_ أهلكت من جنح إليها، واعتمد عليها، أذاقتهم حلوا، ومزجت لهم سما ____ استدلال بالالتفات.

٤_ أين الملوك الذين بنوا المدائن، وشيدوا المصانع، وأوثقوا الأبواب، وكاثفوا الحجاب، وأعدوا الجياد، وملكوا البلاد، واستخدموا التلاد ___ استدلال بالتاريخ.

ليصل من خلال هذه المقدمات السابقة إلى نتيجة سعى لتأكيدها وترسيخها في عقل المستمع بطرق بلاغية مختلفة توسل فيها بالترادف والطباق والسجع والتضمين على النحو الآتي:

١_ قبضتهم بمخلبها _____ النتيجة

٢_ وطحنتهم بكلكلها، وعضتهم بأنيابها _____ تأكيد بالترادف

٣_ وعاضتهم من السعة ضيقا، ومن العز ذلا، ومن الحياة فناء _____ تأكيد بالتضاد

٤_ فسكنوا اللحود، وأكلهم الدود، وأصبحوا لا تعاين إلا مساكنهم، ولا تجد إلا معالمهم _____ تأكيد بالسجع

٥_ ولا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم نبسا _____ تأكيد بالتضمين.

وهكذا كانت مزاوجة واصل بين الحجج العقلية والنقلية بمخاطبة العقل تارة، والعواطف أخرى، قد يسرت له الاستحواذ على المخاطَب؛ نظرا لما تتمتع به هذه الحجج من طاقات حجاجية قوية، فاستطاع من خلال حجة القيم أن يثبت في نفوس المتلقين وعقولهم قيمة زوال الدنيا وكثرة خدعها

ويضيف لها مشروعية جديدة للبقاء في قلوبهم، فلا يركنوا إليها، ولا يغتروا بلذاتها، مستعينا في ذلك بالوسيط اللغوي الذي يتمتع بالبلاغة في تقديم الحجج مما يجعل المستمع يذعن للخطاب، ويعمل على إنجازه.

الخاتمة:

يخلص البحث من دراسته لخطبة واصل بن عطاء التي جانب فيها حرف الراء في ضوء المقاربة الحجاجية التداولية إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- كشفت الخطبة عن دراية صاحبها بأصول الخطابة وسبل الإقناع، فركّز على الجانبين الإمتاعي والإقناعي؛ إذ بنى الأول على إجراءات أسلوبية، واستراتيجيات استهوائية خاطب بها مشاعر الجمهور، وحرّك عواطفه، من خلال الاستعانة بالآليات اللغوية، والاعتماد على الأساليب البلاغية التي استمال بها المتلقين، وأسّس الآخر على التدرج في استخدام الحجج، وترتيب الاستدلال، وربط المنقول بالمعقول من خلال السلم الحجاجي وسلطتي الشاهد والقيم بهدف التأثير في الجمهور وحثه على العمل بمقتضى الخطبة.
- نجحت خطبة واصل بن عطاء في أن تكون خطابا عاما يتسع للناس كافة، أجاد فيه التواصل اللغوي الذي جرّده _بصنعة عالية_ من لثغته في دعوته إلى الإقبال على الله تعالى، وكثّفه بحمولة حجاجية رسّخ بها مضمون الخطبة في عقول جمهوره.
- اعتمد واصل في خطبته استراتيجية حجاجية تداولية محكمة، راعى فيها مقتضى حال الجمهور الذي غرته الدنيا وملكها، فوظّف

الجانب الجمالي في خدمة الجانب الإقناعي، توظيفا سخّر له له الأساليب اللغوية والبلاغية والمنطقية المناسبة لخدمة مقصده، وتحقيق مرماه من خطبته.

- حملت خطبة واصل بن عطاء نسقا مضمرا ومسكوتا عنه تمثّل في رسالة نصح موجهة لأمير العراق بأن يقيم العدل في دولته، وألا يغتر بملكه؛ لأن مصيره إلى زوال.

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر؛ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م.
- أرسطوطاليس، الخطابة، تلخيص وشرح أبي علي بن سينا، تحقيق: محمد سليم سالم، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٩م.
- بشار بن برد، أبو معاذ بشار بن برد بن يرجوخ العُقيلي (٩٦ هـ – ١٦٨ هـ) ديوانه، مراجعة محمد شوقي أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.
- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ.
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.

- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- حازم القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ). منهاج البلغاء وسراج الأدباء؛ تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨م.
- ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.
- أبو الحسن الأشعري؛ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٣٠هـ) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط١، ٢٠٠٦م.
- الخطيب القزويني(ت ٧٣٩)، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تحقيق: أحمد شتيوي، دار الغد الجديد، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

- خلية البحث التربوي، الحجاج في درس الفلسفة، ط١، المغرب، إفريقيا الشرق، ٢٠٠٦م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥ م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٦٣م.
- رضا عامر، دراسة حجاجية تداولية في خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي في أهل الكوفة حين ولي العراق، بحث منشور بمجلة دراسات، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، ع ٧٣، ٢٠١٨م.
- الزركشي، بَدْر الدِّينِ مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللَّهِ بْن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٩٥٧م.
- الزمخشري، جار الله، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

- الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، بيروت: دار الطليعة، ط١، ٢٠٠٥م.
- سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر القديم من الجاهلية إلى القرن الثالث الهجري، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠٠٧م.
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٧م.
- الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي (٣٥٥ – ٤٣٦ هـ)، أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ط١، ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٤ م.
- صابر الحباشة، التداوليّة والحجاج: مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٨م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: الدكتور علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٨م.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- صلاح عبد الله حسن، الحجاج في خطبة ابن عاصم، بحث منشور بمجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، مج ٤٥، ع ٢، ٢٠١٨م.
- الضاوية لسود، وأحلام مامي، الحجاج في خطبة وفود العرب على كسرى: مقاربة تداولية، بحث منشور بمجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، الجزائر، ع ٥، أبريل ٢٠١٧م.
- ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة، د.ت.
- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠م.
- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر: مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليات التواصل والحجاج، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٦م.
- عبد السلام هارون، نوادر المخطوطات، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط٢، ١٩٧٣م.
- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣م.

- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.
- على آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٠م.
- علي الشبعان: الحجاج بين المنوال والمثال. نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، ط١، تونس، مسكلياني للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.
- أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢، د.ت.
- فريق البحث في البلاغة والحجاج؛ أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، تونس، د.ت.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧ م.
- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص، دار المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١م.
- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، المغرب، ط١، ٢٠٠٥م.
- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الدار البيضاء: دار الثقافة، ط١، ١٩٨٦م.

- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، دار كنوز المعرفة، الأردن، ٢٠١٦م.
- المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني المؤلف، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ط١، ١٩٨٤م.
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، كتاب الصناعتين؛ تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- أبو الوليد الباجي (ت٤٧٤هـ). المنهاج في ترتيب الحجاج؛ تحقيق عبد المجيد تركي بيروت: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ٢٠٠١م.
- ابن وهب، أبو الحسين اسحاق بن وهب. البرهان في وجوه البيان؛ تقديم وتحقيق حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، مصر، د.ت.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

References and Resources list

- The Glorious Quran
- Ibn Al-Athir, *Al-Mathal As-Saer fi Adab Al-Katib wa Ash-Shaer*. Authentication: Muhammad Muhyee Ad-Deen Abd AL-Hamid. Al-Maktabah Al-Asreyyah, Beirut, 1995.
- Arsitotle, *Al-Khatabah*, Summary and Explanation: Abi Sina Ali Bin Sina, Authentication: Muhammad Salim Salem, General Authority for Cultural Palaces, Cairo, 2nd edition, 2009 AD.
- Bashar Bin Burd, *Abu Moaz Bashar Bin Burd Bin Yargoukh Al-Uqeili Diwanuh*, Revision: Muhammad Shawqi Amin, Association of Authorship, Translation and Publication Press, Cairo, 1966 AD.
- Abu Bakr Al-Azzawi, *Al-Khitab wa Al-Hijaj*, Ar-Rihab Modern Corporation, Beirut, 1st edition, 2010 AD.
- Abu Bakr Al-Azzawi, *Al-Khitab wa Al-Hijaj*, Ad-Dar Al-Baidaa, 1st edition, 2006 AD.
- Al-Jahiz Amru Bin Bahr Bin Mahboub Al-Laithi Abu Uthman, so called Al-Jahiz (255 AH), *Al-Bayan wa At-Tabyeen*, Al-Hilal Bookshop, Beirut, 1423.
- Al-Jahiz Abu Uthman Amru Bin Bahr, *Al-Hyawan*, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 2nd edition, 1424 AH.

- Gameel Abd Al-Majeed, *Al-Balaghah wa Al-Itisal*, Dar Gharib for Publication & Distribution, Cairo 2000 AD.
- Hazem Al-Qertageni, Abu Al-Hassan Hazem Bin Muhammad Bin Hazem Al-Qertageni, *Minhag Al-Bulaghaa wa Siraj Al-Audabaa,* Authentication: Muhammad Al-Habeeb Ibn Al-Khawajah, Ad-Dar Al- Arabiyah lil Kitab, Tunisia, 2008 AD.
- Ibn Hazm Az-Zaheri, Abu Muhammad Ali Bin Ahmad Bin Saeed Bin Hazm Az-Zaheri, *Al-Fasl fi Al-melal wa Al-Ahwaa wa An-Nehal*, Al Khangi Bookshop, Cairo, no date.
- Abu Al-Hasan Al-Ashaari, Abu Al-Hasan Ali Bin Ismail Al-Ashaari, *Maqalat Al-Islameyeen wa Ikhtilaf Al-Musaleen*, Authentication: Muhammad Muhyee Ad-Deen Abd Al-Hamid, Al-Maktabah Al-Asreyyah, Saida, Beirut, 1411 AH/ 1990 AD.
- Hammou An-Naqqari, *At-Tahajouj Tabeeatuh wa Magalatuh wa Wazeafuh*, Faculty of Letters and Human Sciences, Rabat, 1st edition, 2006 AD.
- Al-Khatib Al-Qazweeni , *Al-Idah fi Oloum Al-Balaghah, Al-Maani wa Al-Bayan wa Al-Badeea.* Dar Al-Ghad Al-Gadid, Cairo, 1st edition. 2014 AD.
- Khaleyat Al-BaHth At-Tarbawi, *Al-Hijaj fi Dars Al-Falsafah*, 1st edition, Morocco, 2006 AD.
- Az-Zahabi, *Seear Alam An-Nubalaa*, Ar-Risalah Corporation, 3rd edition, 1405 AH- 1985 AD.

- Az-Zahabi, *Mizan Al-Itdaal fi Naqd Ar-Rijal*, Dar Al-Marefah for Publication and Distribution, Beirut, 1st edition, 1963 AD.
- Reda Amer, *Dirasah Hijajeyyah Tadawoleyyiah fi Khutbat Al-Hajjaj Bin Yusuf Ath-Thaqafi fi Ahl Al-Koufa Heena waleya Al-Iraq*, A research Published in Dirasat Journal, University Amar Telidji-Laghouat, issue 73, 2018 AD.
- Az-Zarkashi, *Al-Burhan fi Oloum Al-Quran*. Dar Ihyaa Al-Kutub Al-Arabiah, 1st edition. 1957 AD.
- Az-Zamakhshari, *Rabeea Al-Abrar wa Nosous Al-Khyar*, Al-Alamai Corporation, Beirut, 1st edition, 1412 AH.
- Az-Zawawi Baghourah, *Al-Falsafah wa Al-Lughah Naqd Al-Munataf Al-Lughawai fi Alfalsafah AL-Moaserah*, Beirut: Dar At-Taleeah, 1st edition, 2005 AD.
- Salem Muhammad Al-Amin, *Al-Hijaj fi Al-Balaghah Al-Moaserah*, Dar Al-Kitab Al-Jadid Al-Mutahidah, Beirut, 1st edition, 2008 AD.
- Samia Ad-Dreidi, *Al-Hijaj fi Ash-Shir Al-Qadeem min Al-Jahiliyah Ila Al-Qarn Ath-Thalith Al-Hijri*, Aalm Al-Kutub Al-Hadith, Jordan, 1st edition, 2007 AD.
- As-Sakkaki, *Muftah Al-Oloum*, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 2nd edition, 1987 AD.
- Ash-Sharif Al-Murtada, *Amaliyy Al-Murtada (Ghurar Al-Fawaed wa Durar Al-Qalaed)*, Dar

Ihyaa Al-Kutub Al-Arabiah, 1st edition, 1373 AH-1954 AD.

- Saber Al-Habashah, *At-Tadawoliyyah wa Al-Hijaj: Madakhel wa Nosous*, *Safahat*, House for Studies and Publishing,1st edition, Damascus, 2008 AD.
- As-Safadi, *Ayaan Al-Asr wa Awaan An-Nasr*, Dar Al-Fikr Al-Moaser, Beirut, 1st edition, 1998 AD.
- As-Safadi, *Al-Wafi bi Al-Wafayat*, Dar Ihyaa At-Turath, Beirut, 1420 AH-2000 AD.
- Salah Abd Allah Hasan, *Al-Hijaj fi Khutbat Ibn Assem*, Article published in Dirasat: Human and Social Sciences- Journal, Jordanian University, Volume 45, issue 2, 2018 AD.
- Ad-Daweyah Lasoud & Ahlam Imami, *Al-Hijaj fi Khutbat Wufoud Al-Arab ala Khosrow*, article published in Siaqat Al-Lughah wa Ad-Dirasat Al-Bayneyah Journal, Algeria , issue 5, April 2017.
- Deyaa Ad-Deen Ibn Al-Athir, *Al-Mathal As-Saer fi Adab Al-Katib wa Ash-Shaer*, Dar Nahdet Misr, Cairo, no date.
- Taha Abd Ar-Rahman, Fi Usul Al-Hiwar wa Tajdeed Elm Al-Kalam, Al-Markaz Ath-Thaqafi Al-Arabi, Beirut, 2nd edition, 2000 AD.
- Taha Abd Ar-Rahman, *Al-Lisan wa AL-Mizan Aw At-Takawthor Al-Aqli*, Al-Markaz Ath-Thaqafi Al-Arabi, Beirut, 1st edition, 1998 AD.
- Abd As-Salam Usheir, *Endama Natawasel Nughayyer Muqarabah Tadawoleyyah Marefiah Li*

Aliyyat At-Tawasol wa Al-Hijaj, Casablanca, Morocco, 2006 AD.

- Abd As-Salam Haroun, *Nawader Al-Makhtoutat*, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Press, Egypt, 2nd edition, 1973 AD.
- Abd Al-Latif Adel, *Balaghat Al-Iqnaa fi Al-Munazarah*, Difaf Publication, Beirut, 1st edition, 2013 AD.
- Abd Allah Sawlah, *Al-Hijaj fi Al-Quran Al-Kareem min Khilal Ahm Khasaesuh Al-Osloubiah*, Dar Al-Farabi, Beirut, 2nd edition, 2007 AD.
- Ali Ayat Ushan, *As-Siaq wa An-Nass Ash-Sheri min Al-Benyah ila Al-Qiraah*, ،An-Najah Aj-Jadidah press, Casablanca, Morocco, 1st edition, 2000 AD.
- Ali Ash-Shabaan: *Al-Hijaj Bayn AL-Menwal wa AL-Mithal Nazarat fi Adab Al-Jahiz wa Tafsirat At-Tabari*, 1st edition, Tunisia, Meskiliani Publishing, 2008 AD.
- Abu Al-Farag Al-Asfahani, *Al-Aghani*, Dar Al-Fikr, Beirut, 2nd edition, no date.
- Team of researchers in Balaghah and Hijaj, *Ahm Nazareyat AL-Hijaj fi At-Taqaleed Al-Gharbiah min Arsitotle ila Al-Youm*, Faculty of Humanities Publications, Tunisia, no date.
- Al-Mubarred, *Al-Kamel fi Al-Lughah wa Al-Adab*, Dar Al-Fikr Al-Arabi, 3rd edition, Cairo, 1997.
- Muhammad Khatabi, *Lesanyat An-Nass: Madkhal Ila Insjam An-Nass*, Center Culturel Arab, Casablanca, 1st edition, 1991 AD.

- Muhammad Tarous, *An-Nazareyah Al-Hijajiyyah min Khilal Ad-Dirasat Al-Balaghiyyah wa Al-Mantiqeyyiah wa Al-Lisaniyyah, Dar attakafa*, Morocco, 1st edition, 2005 AD.
- Muhammad Al-Umari, *fi Balghat Al-Hijaj Al-Iqnaaei: Madkhal Nazari wa Tatbeeqi lidirasat Al-Khatabah Al-Arabiah*, Casablanca, Dar Ath-Thaqafa, 1st edition, 1986 AD.
- Muhammad Meshbal, *Fi Balaghat Al-Hijaj*, Dar Konouz Al-Marefah, Jordan, 2016 AD.
- Al-Muradi, *Al-Jana Ad-Dani fi Horouf Al-Maani*, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st edition, 1413 AH, 1992 AD.
- Ibn Hisham, United Group for Publishing, Damascus, 1st edition, 1984 AD.
- Abu Hilal Al-Askri, *Kitab As-Senaatayn*, Al-Maktabah Al-Asreyyah, Beirut, 1419 H.
- Abu Al-Waleed Al-Bagi, *Al-Minhaj fi Tarteeb Al-Hijaj*, Beirut, Dar Al-Gharb Al-Islami, 3rd edition, 2001 AD.
- Ibn Wahb, *Al-Burhan fi Wogouh Al-Bayan*, Ar-Risalah Press, Egypt, no date.
- Yaqout Al-Hamawi, *Mujam Al-Udabaa (Irshad Al-Areeb ila Marefat Al-Adeeb)* ,Dar AL-Gharb Al-Islami, Beirut, 1st edition, 1414 H, 1993 AD.